
روايات مصرية للجيب
3
فانتازيا
صفر.. صفر.. سبعة
www.liilas.com/vb3
^RAYAHEEN^



مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

روايات
مصرية للجيب

صفر .. صفر .. سبعة



د. أحمد خالد توفيق

اسمه هو (بوند) .. (جيمس بوند) .. إنه يسحقهم .. يقتلهم .. يدمرهم .. صحيح أنه مستفز .. صحيح أنه غير معقول .. صحيح أنه يعرف كل شيء .. لكنه مسل ولا أحد ينكر ذلك .. واليوم نخوض مغامرة جديدة تحمل الطابع الذى لا يُمحى للعميل البريطانى (007) .. فلا تدعوها تفتكم ...

الثمن في
وما يعادله با
في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقي بالفجالة - القاهرة

مقدمة

اسمها (عبير) ..

لم يكن لها نصيب من اسمها .. فهى تفتقر إلى الجمال الذى يوحى به الاسم .. إنها سمراء نحيلة بارزة عظام الوجنتين ، باردة الأطراف .. ترتجف رعبًا من أى شىء وكل شىء ..

إنها حتى غير مثقفة .. وبكل المقاييس المعروفة لا تصلح كى تكون بطلتنا .. أو بطلة أى شخص سوانا ..

هى لا تلعب التنس، ولا تعرف السباحة ، ولا تقود سيارات (الرالى)، وليست عضوًا فى فريق لمكافحة الجاسوسية ، أو مقاومة التهريب ..

لكن (عبير) ـ برغم ذلك ـ تملك أرق روح عرفتها فى حياتى .. تملك إحساسًا بالجمال ورفقًا بالكائنات .. وتملك مع كل هذا خيالاً يسع المحيط بكل ما فيه ..

لهذا أرى أن (عبير) ملكة جمال الأرواح ، إذا وجد لقب كهذا يومًا ما.

ولهذا أرى أن (عبير) تستحق مكافأة صغيرة ..

ستكون بطلتنا الدائمة .. ولسوف نتعلم معًا كيف نحبها ونخاف عليها ونرتجف فرقًا إذا ما حاق بها مكروه ...

ولأن (عبير) تملك القدرة على الحلم .. ولأنها تختزن فى مقدمة مخها مئات الحكايات المسلية ، وآلاف الأحداث التى خلقها إبداع الأدباء عبر العصور ..

لذلك وقع عليها الاختيار كى ترحل إلى (فانتازيا) ..

(فانتازيا) أرض الأحلام التى لا تنتهى ..

(فانتازيا) حيث كل شىء ممكن .. وكل حلم متاح ..

(فانتازيا) جنة عاشقى الخيال ....

ولسوف نرحل جميعًا مع (عبير) .. سنضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى (فانتازيا) ..

وهناك سنتعلم كيف نحلم ...

إن صفير القطار يدوى ، والبخار يتصاعد حول قاطرته ..

هو ذا جرس المحطة يدق .. إذن فلنسرع ..!..

لقد حان موعدنا مع الأحلام فى (فانتازيا) ..

١ ـ أدغال الواقع ..

شهران انقضيا على (عبير) ..

شهران انقضيا على مغامرتها الأخيرة فى (فانتازيا) ، مع كونت (دراكيولا) والبارون (فان هلسنج) ومصاصى الدماء ..

شهران انقضيا على تحولها هى نفسها إلى مصاص الدماء ..

كانت مغامرة رهيبة ..

لكنها كانت تحمل فى ثناياها ذلك المذاق الحرّيف المحبب .. مذاق الفرار من الواقع ، وإطلاق العنان لأكثر الخيالات جموحًا .. وأكثر الأحلام لا معقولية ..

والآن تعود (عبير) من جديد إلى أدغال الواقع ..

* * *

ـ (عبير) .. هل تفضلين ثوب الزفاف هذا أم ذا ؟

ثوبان رخيصا الثمن فجّا الذوق ، والأسوأ أنها ستستأجر الثوب الذى تختاره .. ولها أن تتصور كل العرق والبراغيث والأوبئة الجلدية التى تركتها العروس السابقة فى هذا الثوب ..

في الروايات دائمًا لا يشكل شراء ثوب العرس مشكلة .. لأن الفقر لا وجود له في دنيا الخيال ..

لا فقر .. لا عرق .. لا براغيث ...

* * *

في هذه الآونة راحت تطالع بنهم كل ما يقع في يدها .

ذهبت إلى بائع الكتب العتيقة الذي افترشت كتبه ومجلداته الرصيف ، لولا أنه قد يسخر منها ـ ومن المؤكد أنه سيفعل ـ لقالت له :

ـ أعطني أحلامًا بجنيهين .. ولكن توصَّ بي !

هذا هو عالم الكتب الساحر .. الكتب التي تحملها عبر الزمان والمكان بعيدًا عن هذا الواقع المرير ..

إن (عبير) لم تكن مثقفة .. هي قارئة نهمة لكنها غير مثقفة .. لهذا لم تدر أن الواقع في حد ذاته قد يلهم الأديب أروع أعماله .. ومثالنا على هذا (ماكسيم جوركي) أو (الطيب صالح) وسواهما من الأدباء الذين عبروا عن بؤس الواقع خير تعبير .. فكان أن أجادوا وصنعوا عالمهم الخاص ..

ـ لكن (عبير) لم تكن تهتم كثيرًا بهذا الطراز من الأدب التعس .. (الواقعية الاشتراكية) كما يحلو للنقاد أن يسموه أحيانًا ..

كانت تصبو إلى القصص التي تتكلم عن عوالم أخرى ،

وأشخاص آخرين .. فهي لا تقرأ كي تعيش تعاستها مرتين ..

وبخمسين قرشًا كانت تبتاع بعض الروايات ذات العناوين المسلية .. روايات تآكلت أطرافها واتسخت أغلفتها وبليت أوراقها ..

وفي الصفحة الأولى تجد دائمًا اسم أحدهم .. على غرار : « سيد عبد الرحيم بسيوني ـ دبلوم صنائع » .

ثم عبارة من ذلك النوع المبتذل الذي يحسبه العامة أدبًا على غرار : « الذكرى ناقوس يدق في عالم النسيان » .

ولا بأس من أبيات شعر ركيك كتبت بقلم رصاص على بطن الغلاف .. لأن : « الذكرى ناقوس يدق في عالم النسيان » كالعادة !

كل هذا كان يثير حنينها إلى حد لا يوصف .

وفي الآونة الأخيرة ابتاعت بعض روايات (جيمس بوند) لكاتب يُدعى (إيان فلمنج) .. وكانت تكره (جيمس بوند) منذ قرأت قصة واحدة له في صباها ، ولم تتحمل فكرة الرجل الذي يجيد كل شيء ويفعل كل شيء .

لكنها كانت بحاجة إلى زيادة مخزونها من الخيالات ، حتى إذا ما مرت ثانية بتجربة (دي ـ جي ـ ٢) ، كانت الاختيارات أوسع ..

ابتاعت كذلك قصتى خيال علمى ، من النوع الذى يبدو على غلافه رجال خضر من المريخ يلوحون ببنادق الليزر .. على حين تحلق فوق رءوسهم مركبة معقدة غريبة الشكل ..

وبآخر ما تبقى معها ابتاعت إحدى روايات (أرسين لوبين) ، وهى لم تكن قد قرأت شيئًا لهذا المدعو (موريس لبـ ...) .. إن الاسم عسير عليها أن تتذكره(*) .. لا يهم ... المهم أنه معها ..

وبينما هى عائدة للدار تتنهد فى حرقة .. وتهمس لنفسها :

ـ أين أنت يا (شريف) ؟!

* * *

و (شريف) لم يكن بعيدًا ..

ها هو ذا فى شقته الأنيقة يقف بقميص قصير الأكمام وربطة العنق ، يلوح بيديه فى عصبية ..

وعلى الأريكة يجلس (صفوت) يلوك ـ كالعادة ـ شيئًا ما يأخذه من قرطاس ورقى ، وقد بدت على وجهه ملامح الرفض ..

(*) موريس لبلان ..

ماذا يقولان ؟ وماسر هذه العصبية ؟

دعونا نقترب منهما لنعرف أكثر ..

يقول (شريف) :

ـ هذا هو قرارى الذى لن أتزحزح عنه ..

ويقول (صفوت) وهو يداعب كرشه البدين بحنان :

ـ أنت مخبول يا صديقى ..أعرف أن العبقرية يخالطها دومًا شىء من خبال .. لكن الأمر مقبول إذا لم يتعد الخبال نوعًا من غرابة الأطوار .. أما والحال كهذا .. فأنا أقول لك : لا .

يقول (شريف) وهو يلقى ببعض حبات النعناع فى فمه « كان يشعل لفافة تبغ كلما توتر .. أما اليوم فلن يسمح لنفسه سوى بالنعناع » :

ـ قلت لك .. أنا حرّ ..

ـ والتكافؤ الاجتماعى والطبقى والفكرى ؟

ـ لا أبالى بكل هذا .. ما دام التكافؤ الروحى قائمًا ..

تنهد (صفوت) .. وفك حزامه ليعطى كرشه مزيدًا من الاسترخاء ، وقال فى قنوط :

ـ أنت أذكى منى يا (شريف) .. وتعلم أن الأمر لا يزيد على عقدة ذنب مفرطة تجاهها ..

ثم مطّ شفتيه فى اشمئزاز .

- أو لنقل إنها عقدة (بجماليون)(*) .. أنت صنعت هذه الفتاة وخضعت لك فى تجاربك .. لهذا همت بها حبًا .. لا أكثر ولا أقل .. إنه افتتان المعلم بتلميذته الذكية ..

قال (شريف) وهو يفتح جهاز التليفزيون ، دون مبرر سوى الحاجة لأن ينفث عن عصبيته :

- هذا هراء .. أنا أفهم نفسى جيدًا ..

- إذن يبقى لنا المنطق (البراجماتى) النفعى .. أنت تريد ذلك لتضمن أن تظل إلى الأبد طوع بنانك .. فأر تجارب أبديًا رخيصًا فى مختبرك ..

ثم فرد أصابعه ليعدّ عليها :

- أولاً : هى لا تملك جمالاً من أى نوع .. لا أدرى فكرتك عن الجمال ، لكن تلك الفتاة لا تتمشى مع أية مقاييس للجمال فى العالم حتى فى (نيام نيام) ..

ثانيًا : هى لا تملك مالاً ..

ثالثًا : ليست أسرتها بأرقى أو أعرق الأسر فى هذا البلد ..

رابعًا : هى ليست ذكية ..

خامسًا : ....

(*) (بجماليون) - فى الأساطير الإغريقية - هو مثال صنع تمثالاً ثم هام به حبًا إلى درجة المرض .

وتوقف عند الإصبع الخامس باحثًا عن صفة خامسة لا تملكها (عبير) .. فلم يجد .. من ثَمَّ عاد يلتهم ما بداخل الكيس فى عصبية ..

قال (شريف) وهو يغلق التليفزيون ، دون مبرر سوى الحاجة لأن يفعل شيئًا ما :

- أراك تحدثت عن كل شىء ولم تذكر روحها .. إنها هى ملكة جمال الأرواح فى العالم .. طاهرة بريئة شامخة .. شغوف بالأحلام .. إنها تنتمى إلى عالم آخر .. ومشكلتها أن روحها اختارت جسدًا غير مناسب ، فى زمن غير مناسب ، فى مكان غير مناسب ..

لهنيهة ظل (صفوت) يرمقه فى غلٍّ عاجزًا عن إضافة شىء .. ثم قال فى ضجر :

- ليكن .. إذا كنت تريد ذلك .. اذهب وتزوجها !

* * *

ولم يكذب (شريف) خبرًا ..

لو كان فهم النفس هينًا إلى هذا الحد لفهم نفسه ، لكنه يعرف على الأقل أن الأسود والأبيض لا وجود لهما فى النفس البشرية وإنما (الرمادى العظيم) ..

فى النفس البشرية لا يوجد عامل واحد ، ولكن عدة عوامل ..

كانت رغبته فى أن يتزوج (عبير) هى خليط من

كل ما قاله (صفوت) وكل ما قاله هو ..

١ - يريد أن يتزوجها لأنه يشعر بعقدة الذنب نحوها .

٢ - يريد ذلك لأنه يشعر نحوها بعقدة (بجماليون) .

٣ - يريد أن يتزوجها لأنها ستكون خامة دائمة لتجاربه ، وهذه هى الوسيلة الوحيدة ليضمن ألا تفلت منه ..

٤ - يريد ذلك لأنها روح صافية عذبة .

٥ - يريد أن يتزوجها لأنه يحب ابتسامتها ووجهها المريح .

٦ - يريد ذلك لأن هذا سيسعدها حتمًا .. وهو راغب حقًا فى إسعاد هذه الروح التى تعيش حياة قحلة بائسة .

٧ - يريد ذلك لأنها بالتأكيد أقل إزعاجًا وثرثرة وميلا للتحكم من زوجته السابقة ، وواحدة مثل (عبير) تعرف حتمًا كيف تحترم رجلها وتتبعه .. تتبعه ولا تصرّ على أن يتبعها هو .. تطيعه دون أن تصرّ على أن يطيعها هو ..

الأسباب كثيرة كما ترون ومعقدة ..

وكما قلنا آنفًا .. المجد للرمادى العظيم .. إن نفس (شريف) تحوى - مثلنا جميعًا - أسمى طاقات العطاء ، وأبشع نزعات الأنانية والنفعية ..

لهذا دعونا من الثرثرة التى لا طائل من ورائها ، وتعالوا معى إلى حيث يجلس مع شقيق (عبير) فى الصالون الصغير الرث .. الذى هو صالون وغرفة نوم ومعيشة فى آن واحد ..

كانت المفاجأة مذهلة لشقيق (عبير) .. واحتاج بعض الوقت كى يستوعب أن هذا المهندس الوسيم الثرى يريد أن يناسبه .. وفى من ؟ فى (عبير) بالذات ..

لكن الريبة استبدت بنفسه ، وشعر أن هناك ألعوبة ما يمارسها هذا (الأفندى) المتحذلق المتأنق كالفتيات ..

برغم هذا بدا متحفظا أقرب إلى التهذيب .. ووعد (شريف) بالرد عليه قريبا .. ثم اختلى بالأم يناقش معها هذا التغير غير المحسوب فى مجرى الأمور ..

لكن الحقائق تنتصر فى النهاية ..

والحقيقة التى لا تدحض هنا هى أن (شريف) عريس لا يُرفض بكل المقاييس ، دعك من أن الفتاة تكاد أن تجن فرحًا .. ومن المؤكد أن (شريف) لا غبار عليه فيما عدا ما كان من أمر زيجته السابقة ، وتجربته التى كادت تودى بحياة الفتاة يومًا ما ..

المشكلة الأولى الآن هى أن الفتاة نصف مرتبطة بصديق عزيز لأخيها .. ، بل إن استعدادات الزفاف قد بدأت ..

فكيف يمكن هدم كل هذا من أجل مهندس مدلل يريد أن يتزوج ؟

* * *

كان كل هذا يدور ويناقش ، حين قرعت (عبير) باب (شريف) فى ذلك المساء ..

وفتح (شريف) الباب ليجدها أمامه ..

ـ (عبير) .. أنا ..

ـ أعرف ما تريد قوله ..

ودون كلمة أخرى مشت عبر الردهة قاصدة الغرفة التى وضع فيها الجهاز ، وبصوت لا تعبير فيه قالت :

ـ أريد أن أعود لهناك .

ـ ليكن .. ولكن ماذا عن أخيك و ..؟

ـ إنه يفكر .. يفكر طيلة الوقت ، لكنه لم يقل شيئًا بعد .

قالتها وهى تجلس على المقعد ، وتضع الأقطاب على جمجمتها .. ثم تردف وهى تسترخى إلى الوراء :

ـ والآن .. أعطنى حلمًا جديدًا ..

* * *

وكانت هذه ـ كالعادة ـ هى البداية الحقيقية لقصتنا .

* * *

٢ ـ صفر .. صفر .. سبعة ..

(شريف) يداعب أزرار الجهاز بأنامله .. ومن بعيد ـ من جهاز الستريو ـ ينبعث صوت أغنية كان يسمعها حين جاءت (عبير) ..

الأغنية لـ (جانيس جوبلن) التى كانوا فى الستينات يسمونها (راهبة البوب) .. تقول كلماتها :

« حين تطول لياليك ، وتقفز أيامك ..
حين تحسب الحبَّ حقًا للأقوياء والمحظوظين فقط .
عندئذ تذكرْ ...
أنه فى الشتاء .. وتحت الثلوج المريرة ..
ترقد البذرة التى ـ مع عناية الشمس ..
تصبح زهرة فى الربيع » .

نعم يا (عبير) .. لو أنك فهمت كلمات هذه الأغنية ، لعرفت أن الحب ليس حكرًا على الأقوياء والمحظوظين .. الضعفاء والتعساء ومعدومو الجمال يمكنهم أيضًا أن يُحبوا ويُحَبّوا ..

عندئذ تغدو البذرة زهرة ..

* * *

قال (المرشد) لـ (عبير) وهو يركب القطار


من بعيد ترى بطًا يتكلم ويمشى اعلى قدمين .. وفئرانًا ترتدى السراويل ، وعالمًا غريبًا ..

جوارها ، ومشاهد (فانتازيا) تتوالى على الجانبين :

- والآن يا فتاة .. تك تتك ! هل لديك اختيار معين ؟

صمتت (عبير) وراحت تتأمل المشاهد حولها ..

من بعيد ترى بطًا يتكلم ويمشى على قدمين .. وفئرانًا ترتدى السراويل ، وعالمًا غريبًا كأنما هو مرسوم بالكاريكاتير ..

قال (المرشد) وهو يداعب قلمه كالعادة :

- تك تتك تك !.. هذا هو عالم (ديزنى) الرائع .. مدينة البط .. (ميكى ماوس) .. (دونالد دك) .. العم (سكروج) ..

- (سكروج) ؟

- نعم .. فى (فرنسا) يسمونه العم (بيكسو) .. وفى مصر تسمونه عم (دهب) .

- حتى هؤلاء فى (فانتازيا) ؟

- ولِمَ لا ؟.. كل الشخصيات والأماكن التى فى خيالك لها وجود مادى هنا .. تك تتك !..

لكنها لم ترغب فى رؤية عالم (ديزنى) .. ليس اليوم .. ربما بعد أن تفرغ من الرؤى الأكثر إلحاحًا بالنسبة لها ... وفجأة تذكرت شيئًا .. هى لم تسمع قط كلمة (سكروج) أو (بيكسو) .. فكيف يعرفهما (المرشد) برغم أنه هو نفسه وليد خيالها وخبراتها ؟

سألته عن تفسير ذلك ، فقال دون اكتراث :

ـ بالتأكيد أنت تعرفين هذه المعلومة .. لكنك نسيت .

ـ هذا غريب ..

وفجأة رأت ذلك المشهد ..

حاملة طائرات عملاقة تحلق ـ بما عليها ـ فوق الصحراء .. مبتعدة تجاه الأفق الغربى .. ولم تجد وقتًا لتفهم كيف تطير هذه الأعجوبة ..

ـ ما هذا أيها (المرشد) ؟

ـ آه !.. هذا المستر (بوند) فى إحدى مغامراته .. قلت إنك لا تميلين إليه كثيرًا ..

فى هذه المرة صاحت (عبير) :

ـ نعم .. أنا أمقته .. لكنى لا أمانع فى أن أعيش مغامرة معه ..

ـ ليكن .. إن أحلامك أوامر يا صغيرة ..

ومدّ يده يجذب حبل إيقاف القطار .

* * *

فجأة وجدت (عبير) أمامها سيارة (سبورت) حمراء .

وسمعت (المرشد) يقول لها وهو يداعب القلم :

ـ هيا .. اتخذى مكانك خلف المقود .. قصتك تبدأ ها هنا ..

ـ لكنى لا أعرف كيف ..

ـ ألن تتعلمى الدرس أبدًا ؟.. كل شىء ممكن فى (فانتازيا) .. أنت الآن العميلة السوفييتية (ناتاليا أولجانوفا) التى أرسلها جهاز المخابرات (كى ـ جى ـ بى) إلى هنا لمهمة شديدة التعقيد ..

صعدت (عبير) إلى السيارة وأمسكت بعجلة القيادة ..

هذا غريب !.. إنها تعرف كيف تقود .. وبمهارة غير عادية .. نظرت إلى جسدها فأدركت أنها ترتدى ثوبًا ضيقًا .. وحذاء عالى الكعبين .. وأدركت من تطاير خصلات شعرها أمام عينيها أنها شقراء !

نظرت فى مرآة السيارة لترى وجهًا بارع الحسن وعينين زرقاوين غامضتين .. كما أدركت كذلك أن هناك من يلاحقها !

الطريق الذى تندفع فيه السيارة هو طريق منعزل تحفه الأشجار من الجانبين .. متعرج بشكل مروّع .. لكن براعتها فى القيادة مروّعة هى الأخرى ..

الفرامل تئن .. السيارة التى تتبعها سوداء من نوع (الشيفروليه) ذات زجاج قاتم فلا ترى من يقودها ..

لكن الإجابة على تساؤلها كانت سريعة جدًا .. إذ سرعان ما برز رجل ضخم الجثة أصلع الرأس من فتحة

التهوية فى سقف العربة ، وهو يحمل مدفعًا هائل الحجم .. و .....

بووووم !

انفجرت القذيفة على بعد متر من يمين السيارة .. ياللعنة !.. إنهم يحاولون قتلى .. من هم ؟ وماذا يريدون ؟

للأسف لا يسمح الوقت بالإجابة عن هذه الأسئلة ، لأن قذيفة أخرى تنفجر أمام السيارة .. العجلات تئن .

يدا (عبير) تتقلصان على عجلة القيادة ، ومن حين لآخر تمسك بذراع السرعات .. بووووم ! هذه ثالثة !

الجديد هنا هو وابل من طلقات الرصاص ينهمر آتيًا من خلفها .. تحاول التملص .. تسير فى خط متعرج ..

بووووم ! لم يزل هذا الأخ المتحمس يواصل (قصفها) بمدفعيته .. اللعنة .. لابد من مخرج ..

وهنا – وقبل أن تفهم شيئًا – وجدت من يثب على السيارة من أعلى ليتربع على المقعد جوارها ..

أجفلت .. والتفتت لترى من هو .. فوجدته رجلاً وسيمًا يرتدى ثياب السهرة كاملة ، ويضع ربطة عنق (بابيون) ..

– مـ .. من أنت ؟

فى هدوء – برغم القذائف المنهمرة من حولهما –

أخرج علبة سجائر ذهبية وقداحة ثمينة .. وأشعل لفافة تبغ .. ثم قال :

– اسمى هو (بوند) .. (جيمس بوند) ..

وغمز لها بعينه وأصلح من ربطة عنقه .. وأردف :

– فى خدمتك يا آنستى !

صاحت فى هستيريا وهى ترى قذيفة أخرى تهوى جوار السيارة :

– هلا فعلت شيئًا ؟ إننا سنموووووت !

– أوه ! صبرًا يا آنسة .. لا داعى للعجلة .. إننى أرى وراء هذا المدفع خصمنا الرومانى العتيد (تاركوفسكى) .. ومن حسن حظنا أنه لا يجيد التصويب .. والآن لنر ما يمكن عمله !

– من هو (تاركوفسكى) هذا ؟

– أوه .. إنه قاتل أجير يعمل لدى خصومى .. أعتقد أنهم سيقضون علينا لا محالة ..

ثم أمسك بيد (عبير) فى قوة .. وهتف :

– تشبثى جيدًا يا آنسة .. فلسوف نذهب فى رحلة قصيرة ..

وقبل أن تفهم ما يحدث كان قد أدار مقود السيارة بعنف إلى اليسار .. فصارت السيارة تسد الطريق بالعرض أمام سيارة المطاردين ..

وشعرت بأنها ترتفع .. ترتفع ببطء لأعلى ..

وحين نظرت إلى قدميه أدركت أن كعبى حذاءيه تحولا إلى محركين نفاثين يقذفان اللهب ، وبالتالى أمكنه أن يحلق فوق السيارة ، وهو يجذبها خلفه متدلية من معصمه ..

ودار بها نصف دورة فى الهواء .. فى اللحظة التى ارتطمت بها سيارة المطاردين بالسيارة (السبورت) الحمراء ..

وانفجرت السيارتان ، وتناثرت الشظايا الملتهبة فى كل مكان وفوق دائرة الدخان الأسود المريعة حلق بها (بوند) ، حتى إذا ابتعدا قليلاً .. ضغط على زر فى حزامه فشرع يهبط أرضاً ببطء شديد .. حتى استقرت قدماه على الكلأ ..

وقفت تنظر إلى عينيه ، ولم تقل شيئاً ..

بالضبط كما تخيلته وهى تقرأ قصص (إيان فلمنج) ، الذى كان هو نفسه عميلاً للمخابرات البريطانية ..

وسيم إلى حد مذهل ـ (جيمس بوند) لا (فلمنج) ـ تنسكب خصلات شعره الأسود الفاحم على جبينه الوضاء .

تجعيدتان على ركن فمه توحيان بالمرح .. وتوحيان كذلك بالقسوة ..

ذقن صلبة مشقوقة ، تنمّ عن قوة شكيمته ، وعينان زرقاوان فيهما سخرية .. وفيهما توحش .. أدركت أن صاحب هاتين العينين هو ـ برغم تظاهره باللطف ـ وحش لا يرحم ، سواء أعداءه أو النساء .. فهو يعبث بعواطف الأخيرات عبثاً .. ويتودد إليهن .. لا عن إعجاب أو حبّ .. بل من منطلق غريزة أشبه بغريزة الصيد ..!

قال لها وقد لاحظ أنها أطالت تأمله :

ـ أرى أن سحر (بوند) الطبيعى قد بدأ يعمل !

ـ لك أن تراهن على ذلك !

وهنا شعرت بدهشة .. إن هذا التعبير « لك أن تراهن على ذلك » ليس من التعبيرات المعتادة على لسانها ، ثم أدركت أنها هنا تلعب دور المرأة الغامضة اللعوب .. وكلهن يقلن عبارات كهذه فى القصص التى كانت تقرؤها فى عالم الواقع ..

إن (دى ـ جى ـ ٢) يكيف لسانها ليلائم الموقف .

تأمل (بوند) حطام العربتين ، وسحابة الدخان الأسود التى بدأت تتصاعد إلى عنان السماء .. وقال فى حسرة :

ـ من المؤسف أن (تاركوفسكى) قد تفحم .. لقد كان خصماً عنيداً يلائمنى تماماً ..

ثم جذبها من ذراعها برقة، ليقودها بين الأشجار قائلاً :

- والآن .. تعالى نركب سيارتى .. إن خير ما يناسبنى للحديث عن هذه الأمور هو كأس من (الشمبانيا) وشطيرة (كافيار) ..

فى عصبية قالت :

- أنا لا أشرب هذا (الهباب) .

نظر لها فى رقة .. وقال وهو يشعل لفافة تبغ أخرى :

- آه .. معذرة .. نسيت أن العميلة الروسية الحسناء (أولجانوفا) لا تشرب حتمًا سوى (الفودكا) .. هل حقًا يجهل رجال (كى جى بى) أننى أفضل (الفودكا) مع الصودا .. التى تمّ هزّها ولم يتم خلطها ؟

تذكرت على الفور هذه الجملة فى كل قصص (بوند) .. فهذا الرجل أشبه بخنزير لا يكف عن الإيقاع بالنساء .. واحتساء (الفودكا) مع الصودا التى تمّ هزّها ، ولم يتم خلطها ..

إنها تكرهه وتشمئز منه .. وفى نفسها تعرف أن الرجال على شاكلته لا يحبون سوى شهواتهم ، ولا يمكن أن يعطوا إخلاصًا أو حنانًا من أى نوع ..

لكنه - لا ننكر ذلك - مسلٍ إلى حد غير عادى ..

إن ثقته المفرطة بنفسه لتوشك أن تصير فكاهية ، وعلى كل حال هى ستترك المغامرة تمضى إلى نهايتها

كما هى العادة دائمًا ..

سارت معه إلى سيارته .. ، سيارة بيضاء رشيقة أشبه بالبجعة هى .. وإن كانت تبرز منها أجزاء لا داعى لها على الإطلاق ..

قال وهو يفتح لها باب السيارة لتجلس :

- تفضلى يا مس (أولجانوفا) .. هذا هو الطراز الأخير من السيارة (م - ١٧) .. لابد أن رجال (كى جى بى) يعرفون كل تفاصيل هذا التصميم .. لقد حصلت عليه بعد أن تهشمت (م - ١٦) فى (المكسيك) حين واجهت دبابات ذلك الوغد (رودلفو شافيز) .

قالت بعصبية وهى تركب السيارة وتغلق الباب :

- أنا لا أعرف أحدًا من الـ (كى - جى - بى) .. وليس اسمى (ناتاليا) .. أنا أدعى ....

ابتسم ابتسامة ثعلب ، وهو يدور حول السيارة ليركب خلف عجلة القيادة .. وقال :

- لاحظى أننى لم أذكر اسم (ناتاليا) قط .. أنت ذكرته !

ثم اندفع بالسيارة فى لمح البصر .. غريب شأن هذه السيارة ! لا يوجد أى تسارع تدريجى فى الانطلاق .. فجأة هى واقفة ، وفجأة هى تتحرك بسرعة ١٨٠ ميلا فى الساعة ، ولا يوجد وضع وسط ..

قال (بوند) وهو يدير زرًا صغيرًا فى لوحة المفاتيح :

ـ ها هى ذى شاشة (المسح الأيونى) .

وعلى الشاشة المذكورة رأت شيئًا يشبه أشعة (الرادار) التى تمسح الأفق .. ، وقال (بوند) :

ـ فيما فهمت .. فإن (الإصبع الذهبى) قد عاد .. وهو الآن يتسلى بسرقة حاملات الطائرات بعد فشل محاولته لنهب (فورت فوكس)(*) .. و .... لحظة !

وأخرج مسدسه وصوبه خارج النافذة ثم ضغط الزناد .. فسمعت صرخة ، أدارت رأسها للخلف ، فرأت رجلا يهوى من فوق شجرة .. ليسقط أرضًا ويتهشم ..

ـ معذرة لمقاطعة الكلام !

قال (بوند) وهو ينفخ الدخان المتصاعد من ماسورة المسدس .

ـ كنت أقول إن (الإصبع الذهبى) هو المسئول عن سرقة ثلاث حاملات طائرات تخصنا .. وحاملتين سوفييتين ..

قالت وهى ترمق خارج النافذة :

ـ كنت أحسبه هلك غارقًا فى الذهب السائل ..

(*) فورت فوكس : القلعة الحصينة التى تحوى كل مخزون الولايات المتحدة من الذهب .

ـ كثيرون حسبوا الشىء ذاته .. لكنه نجا .. كلهم ينجون فى النهاية .. هذا محتم لكى تستمر السلسلة .. و .. معذرة ! .. هذا واحد آخر ..

وأخرج المسدس من النافذة وأطلق رصاصة أخرى .. فرأت (عبير) اثنين يهويان من فوق شجرتين .. تساءلت فى حيرة :

ـ اثنان بطلقة واحدة ؟!

قال وهو يرفع زجاج السيارة :

ـ إن هذا يوفر الطلقات .. ألا ترين ذلك ؟

ثم أضاف :

ـ إنهم سيفعلون أى شىء لاسترداد (الميكروفيلم) !

ـ هل هناك (ميكروفيلم) فى الموضوع ؟

ـ حتمًا .. دائمًا هناك واحد .. أنا أعرف أنك تخفينه فى حشو ضرسك .. إنها فكرة جيدة !

ـ حـ .. حشو ضـ .. ضرسى ؟ من قال هذا الهراء ؟

ـ لن أكشف عن مصدر معلوماتى .. المهم أنهم هم أيضًا يعلمون ذلك .. ولن يتورعوا عن اقتلاع أسنانك واحدة فواحدة وأنت حية .. إن هذا ديدنهم !!

وفجأة ارتفعت من أسفل المنحنى الذى كانا يصعدانه طائرة (هليكوبتر) .. بدت كأنها طائر أسطورى مرعب يرتفع من أعلى أمام عيونهما ليحلق فوق رأسيهما ..

وفى اللحظة التالية انهمر وابل من الطلقات الحارقة فوق السيارة ..

* * *

٣ - الرجل الذى يعرف الكثير ..

بدت الأرض كأنها ثقوب مصفاة .. وحول السيارة تناثر الغبار فى كل مكان .. شرعت العجلات تئن بينما (بوند) يدير عجلة القيادة يميناً ويساراً محاولاً التملص .. على حين ابتعدت الطائرة ..

ثم إنه قال لـ (عبير) من بين أسنانه :

- لو أن هذا الوغد يمرّ فوق رأسنا لحظة واحدة !

وكأنما سمعه المهاجم .. سمعت (عبير) هدير الطائرة إذ تعود لتفرغ عليهما دفعة أخرى من الرصاص .

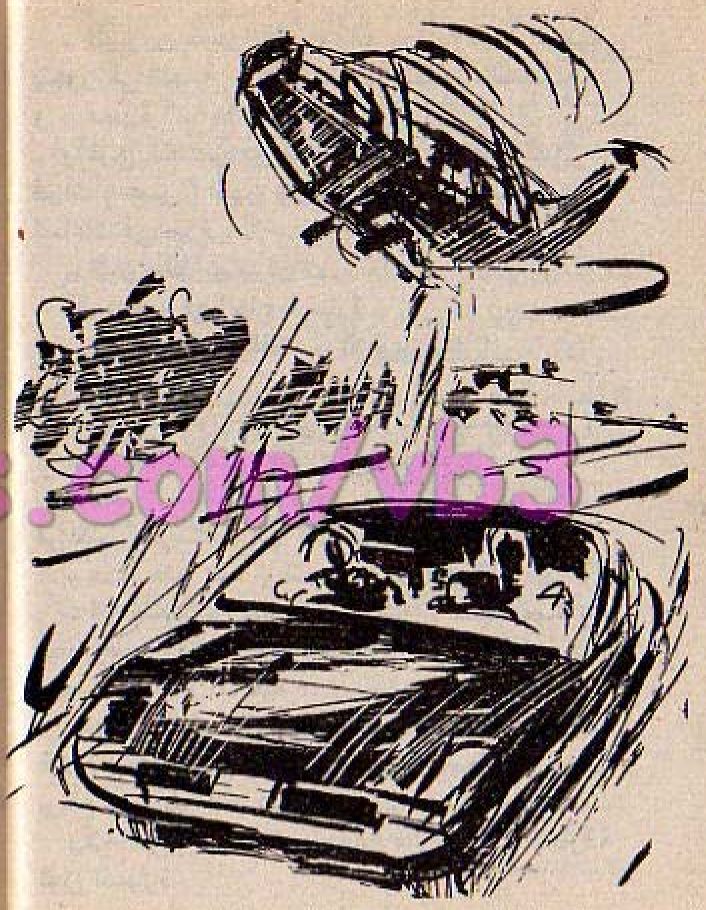
وفى ذات اللحظة رأت على لوحة القيادة أمام (بوند) شاشة صغيرة عليها ذلك الصليب الفوسفورى الخاص بالتصويب .. ورأت أن الشاشة تعكس صورة واضحة نقية للسماء فوق السيارة ..

وبعد ثانية رأت صورة الهليكوبتر - من أسفل - وهى تعبر الشاشة .. عندئذ قال (بوند) فى ثقة :

- حان الوقت !

وضغط زرّ (الكاسيت) .. الذى لم يكن زر (كاسيت) فى الواقع ..

فى اللحظة التالية ارتفع جانب من السيارة ، وبرزت



وفى اللحظة التالية انهمر وابل من الطلقات الحارقة فوق السيارة ..

فوهة مدفع مصوبة نحو السماء .. ورأت (عبير) خيطًا من الدخان الأسود ينبعث من الفوهة متجهًا لأعلى .. لأعلى .. نحو الهليكوبتر ..

بووووووم !.. كان الانفجار مريعًا مفعمًا بألوان مبهرة حمراء وصفراء .. وطار شىء فى الهواء جوار عينى (عبير) .. لكن (بوند) مدّ يده والتقطه فى خفة قبل أن يلمسها :

ـ لا تقلقى ..!.. قد حصلت عليه ..

وتأمله فى كفه .. وتنهد حسرة :

ـ إنه إصبع قدم الطيار .. يالها من مأساة !

ثم طوّح بالإصبع خارج العربة .. وأردف فخورًا :

ـ إن الصواريخ (تى ـ ٢) أرض ـ جو تعمل بكفاءة حقيقية .. ألست من رأيى ؟

تنهدت فى غيظ وقالت :

ـ سيارة بصواريخ !.. ألا تجد فى هذا نوعًا من (الاستخفاف بالعقول) ؟!

ـ وما المشكلة فى ذلك ؟.. إنه خيال المؤلف الخصب .

ـ نعم .. ولكن .. هذا يجعل المغامرة خالية من المشاكل .. يوجد زرّ لكل شىء وأداة سرية لكل غرض .. ما هى المخاطرة إذن ؟

ـ لكن هذه الابتكارات مبهرة فى ذاتها ..

قالت فى حنق :

ـ إن لى رأيًا قد لا يريحك كثيرًا يا مستر (بوند) .. لهذا أنوى أن أخرس .

قال وهو يضغط على زرّ إرجاع شريط (الكاسيت) ، من ثمّ عاد المدفع الصاروخى إلى مكمنه :

ـ لا بأس .. والآن يمكننا أن نغادر (ألبانيا) ..

ـ (ألبانيا) ؟

ـ طبعًا يا ملاكى .. نحن فى (تيرانا) الآن .. وقد انتهت مهمتنا هنا .. يجب أن نتعاون وإلا فلن نقضى على (الإصبع الذهبى) .. أنت تملكين (الميكروفيلم) الذى يظهر تفاصيل القاعدة .. وأنا أملك إمكانياتى وخبرتى .. يمكننى أن أحصل على (الميكروفيلم) بأن أنتزع ضرسك من فمك ، لكننى لا أحب العنف مع حسناء مثلك .

وأردف قبل أن تتمكن من الردّ :

ـ ستعودين إلى الفندق ، وتعدين حقائبك .. بعد هذا نرحل إلى (الهند) .. حيث تنتظرنا مهام أخرى ..

نظرت له (عبير) فى صمت ، ولم تبس ببنت شفة ..

* * *

مطار (بومباى) ..

لماذا (الهند) بالذات ؟.. لا تدرى .. إن (دى ـ جى ـ ٢) يحاول أن يهبها أمتع الخيالات .. فينقلها إلى هذا البلد المفعم بالأسرار والبخور والثعابين كما يحلو لكتاب القصص الغربيين أن يتخيلوه ..

فى هذه المرة تهبط درجات الطائرة مع (بوند) .. جواز السفر يقول إنهما مستر ومسز (كيرتس) .. مستر (كيرتس) صحفى يكتب كتابًا عن الأديان الشرقية ، وهى حرمه المنبهرة بكل شىء ..

يقول لها (بوند) وهما يخرجان من الجوازات ، ورائحة الجو الرطب الخانق تفعم خياشيمهما :

ـ والآن .. علينا أن نجد المدعو (موهاندا راى) ..

ـ ومن هو ؟

ـ إنه رجلنا ها هنا ..

وخارج المطار ترى (عبير) الفقراء الهنود الذين ينامون على أسرة من الأشواك ، والحواة الذين يعزفون المزمار لثعابين (الكوبرا) ، وفقيرًا هنديًا يصعد إلى السماء متعلقا بحبل .

تسأل (بوند) فى دهشة :

ـ كل هؤلاء أمام المطار ؟.. من المفروض أن السلطات لا تسمح بذلك .

قال لها وهو ينقد الحمال حفنة من الروبيات :

ـ أنت فى (فانتازيا) .. خيالك لا يتصور (الهند) إلا مقرونة بهذه الأشياء .. لهذا من الطبيعى ـ وأنت تتخيلين ـ أن تجدى الحواة أول ما ترين فى (الهند) .

أوقفهما أحد الحواة وهو يمسك بمزمار .. وأمامه سلة يبرز منها رأس ثعبان (كوبرا) بذلك المنظار الأسود المنقوش على مؤخرة عنقه ..

كان الحاوى نفسه رجلاً شبه عار ، يضع على رأسه عمامة عالية ، وينحنى فى تملق قائلاً بإنجليزية (هندية) رديئة :

ـ هيه يا سيد !.. هلا ناولتنى روبية أو اثنتين ، وسوف ترقص لك ثعابينى حتى المساء ؟

دنا منه (بوند) ونزع منظاره الأسود .. وهمس :

ـ أين ؟

تغير أسلوب الرجل ليتحدث فى جدية وخطورة هامسًا :

ـ شارع (رانجاتا) .. رقم (٤٣) .. التاسعة مساء ..

نظرت (عبير) إلى ما يحدث فى غيظ .. لو أراد هذان عدم جذب الأنظار ، لاختارا وسيلة أقل استعراضية .
أن يهمس سائح أمريكى بكلمات ما فى أذن فقير هندى لأمر يثير الفضول ..

على أن ساحر الثعابين رفع المزمار إلى فمه وشرع يعزف .. ويتمايل .. فنقده (بوند) روبيتين ، ثم جذب ذراع (عبير) ليرحلا ..

ما إن ابتعدا بضعة أمتار حتى دوّى الانفجار المروع .

قال (بوند) دون أن يلتفت وراءه :

ـ قنبلة موقوتة .. هذا واضح .. وهناك من دسها له فى السلة مع الثعابين .. وهى لا تنفجر إلا حين يُعزف المزمار بجانبها .. ، عرفت قنبلة من هذا الطراز فى (الهند الصينية) لم تكن تنفجر إلاّ حين تُقال جوارها لفظة (بوند) ..

ـ وكيف نجوت منها ؟

ـ حين دسها الأعداء فى فراشى قال واحد منهم للآخر : هذه كافية لنسف (بوند) ! وكان هذا كافيًا لتفجيرهما هما !

ـ ومن الذى وضع القنبلة للساحر الهندى ؟

حتمًا هو واحد لا يريدنا أن نصل إلى (موهاندا راى) .. إن (موهاندا راى) يعرف الكثير بالتأكيد .. هيه !.. تاكسى !

توقف التاكسى أمامهما ، وكان سائقه عملاقًا ملتحيًا من طائفة (السيخ) ، يضع ـ كعادتهم ـ لحيته فى شبكة ، وقد دسّ فى خده خنجرًا حادًا يدخل من الجانب الأيمن ليخرج من الأيسر ..

قال له (بوند) وهو يفتح السيارة لـ (عبير) :

ـ شارع (رانجانا) يا صديقى .. ولك مكافأة لو وصلت هناك قبل التاسعة مساء ..

ـ أمرك يا سيّدى !..

جلس (بوند) جوار (عبير) يشرح لها كيف أن (السيخ) يدسون هذا الخنجر فى خدهم كنوع من النذر الدينى ، وكيف أن هذا الخنجر يعوق الرجل عن الكلام بالتأكيد .. صارحته أنها لا ترتاح كثيرًا إلى هذا الرجل .. فنظراته إليهما غير مطمئنة .. لكنه بدا واثقًا بنفسه كالعادة ..

قال السائق وهو يستدير بكل جسده ليرمقهما بعينيه المرعبتين ، ولحيته تتدلى على المقعد :

ـ هل تجوران شديقًا ؟.. أنتما شائحان على ما أظن .

ـ حتمًا ـ قال (بوند) ـ أنا أدرس الأديان الشرقية ، وبلدكم ملىء بالأديان ..

ـ إن بلدنا ملىء بالأديان .. وكل ما يمت إلى العالم الآخر ..!.. نياها ها ها ها ها ها ها ه !

مالت (عبير) على أذن (بوند) ، وهمست فى قلق :

ـ لا أدرى لماذا أشم رائحة التهديد فى كلماته هذه !

قال فى استهتار :

ـ إنها الطريقة المحلية فى المزاح ..

التاسعة مساء .. شارع (تاغور) ..

قالت (عبير) لـ (بوند) وهى تقرأ اسم الشارع المكتوب بالإنجليزية والأوردية :

ـ لكن هذا ليس شارع (رانجانا) ..

قال (بوند) وهو ينقد الرجل أجره .. ويغادر السيارة :

ـ لا يهم .. أنت فى (فانتازيا) .. ما يهم هو أن مغامرة تنتظرنا هنا بصرف النظر عن اسم الشارع ، أنت تعرفين كما أعرف أنا أنه ـ فى الغالب ـ لا يوجد شارع باسم (تاغور) ولا (رانجانا) فى (بومباى) .. لقد استعمل خيالك أول اسمين ذوى طابع هندى تبادرا إلى ذهنك .. مثلما الفرنسى اسمه (جان) أو (بيير) فى كل القصص ، والإيطالى اسمه (كارلو) ، والألمانى اسمه (هانز) .. ما علينا .. ولكن .. أرى أن هذا هو البيت رقم (٤٣) .. يمكننا أن .. لكن لحظة !.. لماذا أرى الباب مفتوحًا والأنوار كلها مضاءة ؟!

ـ د .. دعنا لا ندخل ..

ـ يا ملاكى .. ليس (بوند) من الذين يبالون بهذه السفاسف .. وامتشق مسدسه ، وخلفه دخلت (عبير) وهى ترتجف كورقة .. حتى بدا شكلهما كأحد ملصقات أفلام (جيمس بوند) الشهيرة .. (٧..) يمتشق

مسدسه فى ثقة بينما تقف خلفه فتاة مذعورة .. تحتمى بقامته الفارعة من خطر داهم ..

لا يوجد أحد .. الصمت كما خلق ...

ولكن ـ حين صعدا الدرج ـ وجدا امرأة هندية ترتدى السارى مقتولة بالسكين والذعر على وجهها .. ، وعلى أريكة فى ركن القاعة وجدا رجلا بدينا يرتدى (الشيلوار) الهندى الشهير .. وفى عنقه انغرس سكين حتى النصل ..

مال (بوند) وانتزع السكين .. كان نصله متعرجًا كالثعبان .. تأمله لحظة ثم قال :

ـ تحفة فنية لكنها تلوثت بالدماء .. دماء (موهاندا راى) طبعًا ..

وهنا أصدر (موهاندا) صوتًا كأنما يريد قول شىء .

صاحت (عبير) وقد التصقت بالجدار هلعًا :

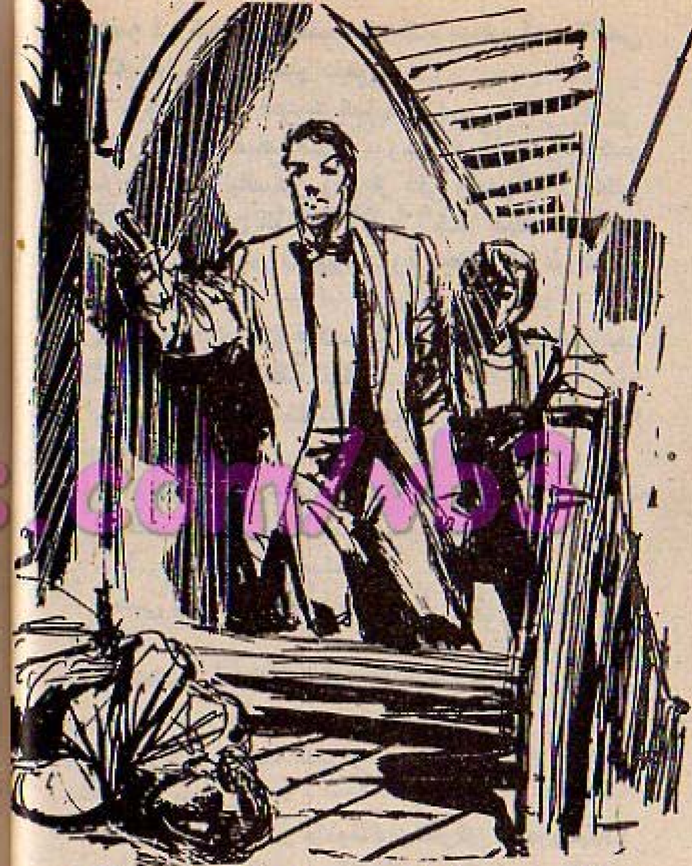
ـ إذ .. إنه حىّ .. مستحيل !

انحنى (بوند) راكعًا جوار الرجل .. وقال فى لا مبالاة :

ـ بالعكس .. لابد أن يقول كلمة ما قبل أن يموت ، ومهما كانت درجة إصابته .. هذا هو (البروتوكول) يا صغيرتى فى هذا الطراز من القصص .. والآن .. ماذا تقول يا عزيزى ؟

أصدر الرجل فحيحًا وعيناه تكادان تفارقان محجريهما :

ـ (كندا) .. المفاعل .. (أونتاريو) .. لا يجب أن ...



ولكن حين صعدا فى الدرج ـ وجدا امرأة هندية ترتدى السارى ، مقتولة بالسكين ، والذعر على وجهها ..

نظر (بوند) إلى (عبير) وابتسم منتصرًا :

ـ أرأيتِ ؟.. يقول كلامًا يبدو غامضًا .. ثم يتضح لنا أنه جوهرى لحلّ اللغز .. بعد هذا يموت طبعًا !

ونهض يرمق جثة الرجل فى اشمئزاز :

ـ أنا لا أطيق الخاسرين !.. كيف يسمح إنسان لنفسه بأن يموت بهذه السهولة ؟!

ـ أنت وحش !

ردّ فى هدوء وهو يتفقد المكان شاهرًا مسدسه :

ـ لو لم أكن وحشًا لما ظللت حيًا حتى هذه اللحظة .. إن أخلاق الرجل التقليدى لا تناسب أمثالى حتمًا ..

كادت تقول شيئًا حين وجدته يمرّ أمام ستار معلق جوار الشرفة .. وفجأة رأت يدًا تبرز من وراء الستار حاملة هراوة عملاقة .. ثم إذا بالهراوة تهوى فوق مؤخرة رأسه ..

بدا لها (بوند) كبالون فرغ منه الهواء .. ارتخى تمامًا ثم تهاوى ببطء إلى الأرض ..

وامتدت يد ممسكة بمنديل تحيط بأنفها فلم تجد الوقت كى تصرخ .. ويد أخرى تكبل حركتها ..

كان المنديل مبتلا .. حاولت ألا تتنفس لكن سُدى ..

وإلى أنفها تسربت رائحة شبيهة برائحة (الأسيتون) الذى كانت تزيل به الطلاء من على أظفارها فى عالم الواقع .

ولم تكن تعرف أن هذه هى رائحة (الكلوروفورم) .

* * *

٤ ـ المصيدة ..

إنها مقيدة .. بالتأكيد هى كذلك ..

صوت يتردد فى ذهنها باستمرار :

احترسى يا (عبير) !.. خلفك !

تساءلت ـ وهى تفتح عينيها فى تراخ ـ عن مصدر هذا الصوت ، ثم تذكرت .. لابد أنه (شريف) يواصل الإدلاء بمعلوماته التى تصل متأخرة دائمًا .. ليته يكف عن ذلك ..

ضوء ساطع يحرق جفونها ..

تفتح عينيها بصعوبة .. لتدرك أنها مكبلة فى مقعد جلدى عالى الظهر ، وأن كشافًا مسلطًا على وجهها على بعد سنتيمترات منها ، وأن هناك آلات أكثر من اللازم على منضدة جوارها .. وإذ تحرك عينيها أكثر ترى رجلًا هنديًا يرتدى العوينات ومعطفًا أبيض ، ينحنى عليها ويتأمل وجهها فى اهتمام ..

وسمعته يقول برصانة :

ـ هاأنتذى قد أفقتِ .. والآن هلا رأينا فمك يا صغيرة ؟

فتحت فمها منهكة غير فاهمة لما يريد ..

ـ ها هوذا !.. أرى أن عنايتك بأسنانك شبه معدومة ..

وهنا فهمت ما يحدث ..

إنها مقيدة إلى كرسى طبيب أسنان !.. ولكن لماذا ؟.. آه !.. بالتأكيد لأن هؤلاء الأوغاد يريدون أخذ الميكروفيلم من فمها .. من حشو ضرسها !..

قال الرجل وهو يمسك بالمثقاب ويديره :

ـ والآن يا مس (أولجانوفا) أطلب منك أكبر قدر من التعاون ، لأن ما سيحدث سيكون مؤلمًا حقًا .

صاحت فى هلع :

ـ لا ..!.. أرجوك !.. أنا أخشى أطباء الأسنان !

ابتسم فى رقة :

ـ أنت مررتِ بتجربة سابقة فى (موسكو) حين خبأ رجال (كى ـ جى ـ بى) هذا الميكروفيلم فى ضرسك .. لماذا تهينين الطب الهندى بافتراض أننا أقل براعة من السوفييت ؟!

صاحت وهى تحاول التحرر من المقعد :

ـ لكن .. لكننى لا أعرف أى ضرس هو !

ـ لديك أربعة ضروس محشوة .. سنجربها جميعًا .. وأرجو أن يحالفك الحظ فيكون الضرس المعنى هو الأول أو الثانى !

صاحت فى هستيريا وهى تؤرجح رأسها :

ـ لن أفتح فمى !

ـ كذا ديدن الأطفال !.. لكننا نعرف كيف نعالج هذا ..

ومدّ يده ليتناول أداة تفتح ببطء كلما أدار مسمارًا محويًا بها ، ودسّها بين شفتيها .. ثم أدار المسمار ببطء فشرع فمها ينفتح وقد تدلى منه خيط لعاب سال على صدرها .. ذكرها هذا بأدوات الطب البيطرى التى تستخدم لإرغام الأبقار على فتح فيها ..

سال الدمع من عينيها ، وقد تحول فمها إلى مغارة صالحة للتنقيب عن الذهب بها ..

وبطرف عينها رأت رجلا ملتحيًا يدخل القاعة ليقف خلف الطبيب .. كان هو سائق التاكسى العملاق الذى ركبت معه و (بوند) حين قصدا دار (موهاندا) .. كانت محقة حين ارتابت به إذن .

كان العملاق يرمقها فى وحشية .. ثم قال للطبيب :

ـ دكتور (رام) .. ألا ترى أنك تضيع وقتك فى هذا الهراء ؟.. كنا سنقطع رأسها ونقتلع ضروسها كلها مرة واحدة !

قال د. (رام) وهو يمسك بمسبر صغير :

ـ هدوءًا يا عزيزى (راجا) .. إن العنف قد يتلف الميكروفيلم .. ثم ماذا يكون الموقف لو قطعتم رأسها لتجدوا أن الميكروفيلم ليس هناك ؟!.. من سيخبركم وقتها بمكانه الجديد ؟

وشرع يعبث بالمسبر هنا وهناك .. وسمعت أصواتًا تثير الغثيان من داخل فمها ..

ثم رأته يرفع المثقب ويديره .. ويبتسم :

ـ حان الوقت يا صغيرة .. أرجو ألا تتألمى كثيرًا !

وصرخت (عبير) من فمها المفتوح ..

واختلط صراخها بصوت هدير المثقب وهو يشق طريقه فى ضروسها ..

* * *

كان المكان مظلمًا ..

الألم الجنونى يعصف برأسها ، وتشعر أن فمها كان حقل تجارب نووية .. بلسانها تكتشف عشرات الثقوب بداخل الضروس .. لقد كان الوغد دقيقًا فى عمله ، ومن المؤسف أن ضرس الميكروفيلم كان هو آخر ضرس .. لقد اعتادت هذا منذ الطفولة .. كراستها هى آخر كراسة فى كومة الكراسات التى تستردها التلميذات .. اسمها هو آخر اسم فى قائمة الأسماء التى تُنادى .. فإذا حاولت أن تتذاكى وتبدأ بحثها بآخر كراسة .. اتضح لها أن كراستها هى الأولى ..!..

حتى فى (فانتازيا) كان الضرس المعنى هو آخر الضروس .!..

أخيرًا تتعود عيناها الظلام .. وتدرك أنها فى قبو مظلم ... وترى (جيمس بوند) ملقى على الأرض بجوارها .

وثبت لتجلس جواره ، وتربت على خديه محاولة جعله ينهض ..

واضح ـ حمدًا لله ـ أنه لم يدخل قوائم وفيات هذا العام بعد .. ها هو ذا يفتح عينيه فى إنهاك .. ثم يقول لها:

ـ (بوند) فى خدمتك أيتها الحسناء .. (جيمس بوند) ..!

وينهض مبتسمًا ليمرر أنامله فى خصلات شعره ، ويعيد إغلاق أزرار بدلته .. ثم ينظر لها فى تساؤل ..

ـ الميكروفيلم ؟

أشارت إلى فمها ، إشارة بليغة جدًا لا تحتاج إلى تفسير .. فهتف :

ـ اللعنة !

ثم مدّ يده إلى جيبه فأشعل بقداحته الذهبية لفافة تبغ .. وقال :

ـ لقد ذهب مجهود العميل السوفييتى (كودولوف) هباءً .. فهو قد تمكن من تصوير قاعدة (الإصبع الذهبى) بالكامل .. ثم قام بتسليم الميكروفيلم للجنرال (تازييف) ، وكان أن دفع ثمنه من حياته ..

لقد ألقوا بـ (كودولوف) لأسماك (البيرانها) فى (بيرو) .. تصورى هذا !.. سافروا به من (موسكو) إلى (بيرو) خصيصًا ليرموا به فى حوض أسماك

(البيرانها) .. التى التهمته فلم تبق سوى أسنانه الذهبية .. ولكن الميكروفيلم ظل مع رجال (كى - جى - بى) .. وعرفت أنت أن (تازييف) خائن يعمل لحساب (الإصبع الذهبى) . فسرقت الميكروفيلم وأخفيته فى أسنانك .. وفررت إلى (ألبانيا) حيث أنقذتك .. كل هذا هباءً ..

لم تفهم شيئًا من كل هذه القصة .. لكنها تظاهرت بالفهم .. المفروض أن هذه هى ذكرياتها وهى تعرفها جيدًا ..

تساءلت وهى تدارى خدها بكفها :

ـ وماذا نفعل الآن ؟

ـ بالطبع نغادر (الهند) إلى (كندا) .. هذا هو آخر ما قاله (موهاندا) قبل أن يذهب إلى الجحيم ..

وهنا سمعا ضحكة عالية :

ـ نيا ها ها ها ها ها ه !

ـ هذه الضحكة مألوفة !

نظرا لأعلى فوجدا كوة مفتوحة يتسرب منها شعاع من الضوء ، يطل منها رأس يأتى الضوء من خلفه فلا يتبينان ملامحه جيدًا .. لكن الضوء يتخلل شعيرات اللحية إلى حد ما .. إنه السائق الذى جاء بهما إلى دار (موهاندا) .. والذى عرفت الفتاة أن اسمه هو (راجا) رجل (السيخ) ذو الخنجر الذى يخترق خديه ..

قال (راجا) فى لهجة منتصرة :

ـ والآن يا مستر (بوند) ـ وقد حصلنا على (الميكروفيلم) ـ أرجو أن تجدا (الهند) بلدًا مثليًا .. نيا ها ها ها ها ه !

ثم أغلق الكوة ..

ـ ماذا يقصد ؟

تساءلت (عبير) فى وجل .. لكن (بوند) كان ـ كالعادة ـ يعرف ما ينتظرهما .. من ثمّ مشى فى حذر إلى ركن القاعة حيث مجموعة من الصناديق الخشبية العتيقة ، وأشعل قداحته ليرى ..

وفى اللحظة التالية ، برز رأس وعنق ثعبان الكوبرا وهو يحدج (بوند) بعينيه الشريرتين الجشعتين ..

تراجع (بوند) بحذر للوراء ، فإذا بثعبان آخر يبرز من وراء صندوق .. ثم ثعبان ثالث .. فرابع ..

عشرات .. بل مئات الثعابين تبرز من كل صوب قاصدة هذين الأسيرين البائسين .. لم تصرخ (عبير) ..

تحركت فيها (فوبيا الثعابين) الكامنة فى نفوس البشر جميعًا ، فاحتبس الصراخ فى حلقها .. وراحت ـ ببلاهة ـ تبكى كالأطفال ..

قال (بوند) وهو يطفئ قداحته :

ـ يا لها من زواحف مقززة ..!

تساءلت (عبير) وهى ترتجف :

ـ ألم يكن من الأفضل لهم ولنا أن يقتلونا بالرصاص وينتهى الأمر ؟

ـ هذا حلّ سخيف .. يجب فى هذه القصص أن يكون أسلوب القتل طويل المدى ، وإلا من أين يأتى التشويق ؟! ومن أين تجىء فرصتنا للفرار ؟

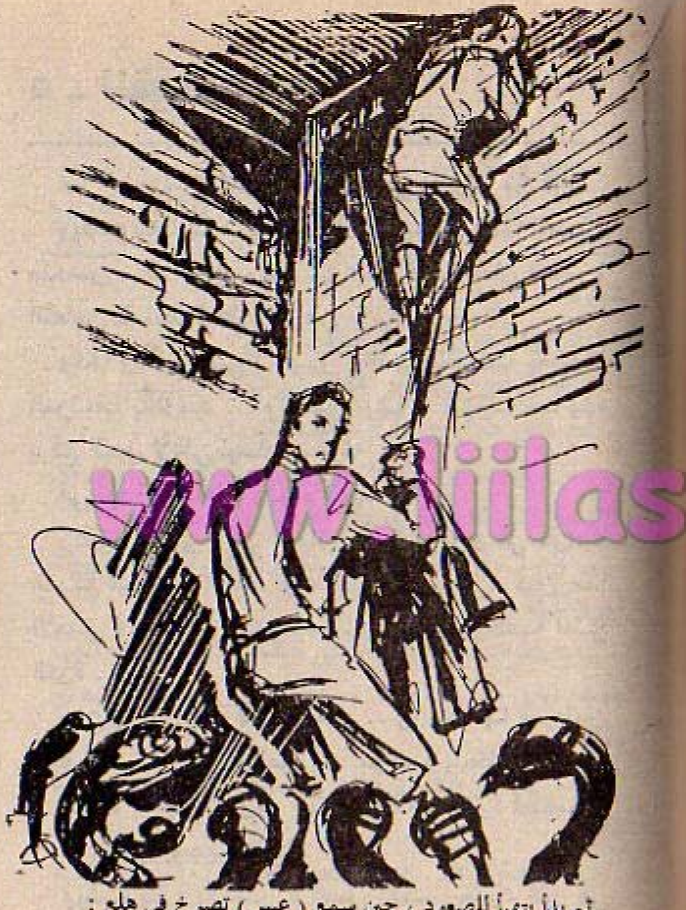
ـ و.. وماذا سنفعل ؟

ـ إن قتل هذه الزواحف ركلاً بالأحذية غير عملى فضلاً عن أنه مستحيل .. ربما لو حاولنا تسلق هذا الجدار للخروج من الكوة .. ولكن يجب أولاً أن نشلّ زحفها غير المقدس نحونا ..

ومدّ إصبعين إلى زرّ فى سوار قميصه فانتزعه .. وضغط جزءًا منه ثم رماه على بعد متر من مكانه و (عبير) .. ، وعلى الفور لاحظت (عبير) أن الثعابين تتراجع ببطء إلى الوراء ..

قال (بوند) وهو يلقى لفافة تبغه :

ـ هذا (هـ ـ ٤) .. طارد الثعابين .. تطوير لجهاز كان مصممًا للاستعمال فى (فيتنام) بوساطة الأمريكيين ، ويصدر ذبذبات تضايق هذه الزواحف إلى حدّ غير عادى .. المشكلة هنا هى أن عمله لا يدوم أكثر من عشر دقائق ، ولهذا يجب أن نتسلق هذا الجدار خلال عشر دقائق لا أكثر ..


ثم بدأ يتهيأ للصعود ، حين سمع (عبير) تصرخ فى هلع :

ـ الثعابين !.. إنها تعاود الهجوم ..

وتمدد على الأرض ، ورفع قدميه إلى أعلى .. ثم ضغط على جزء فى حزامه .. وفى اللحظة التالية انطلق كعب حذائه الأيمن كالقذيفة ليصطدم بالجدار وينغرس به .. ووراءه تدلى حبل طويل سميك ينتهى عند الجزء الباقى من حذاء (بوند) ..

ـ هذا هو .. يمكننا الآن تسلق هذا الحبل .

وساعد (عبير) على أن تلفَّ قدميها على الحبل ، وتستعمل يديها للتسلق .. ثم راح يراقبها وهى ترتفع لأعلى ببطء .. ببطء .. حتى وصلت إلى مستوى الكوة .

صاح بها :

ـ حاولى فتحها .. والتسلل بجسدك من خلالها .

ـ إنها لا تنفتح ..

ـ إذن تعلقى بالقرميد البارز من الجدار .. وانتظرى حتى ألحق بك .. لابد أن هناك طريقة ما ..

وخلع سترته ، وربطها فى طرف الحبل الأسفل حتى يستردها فيما بعد إذا وصل لأعلى ..

ثم بدأ يتهيأ للصعود ، حين سمع (عبير) تصرخ فى هلع :

ـ الثعابين !.. إنها تعاود الهجوم !

نظر (بوند) من وراء كتفه ..

ورأى أنها كانت صادقة فيما قالته ..

صادقة تمامًا ..

* * *

٥ ـ القيادة ..

أسرع (بوند) يتسلق الحبل بأقصى ما أوتى من قوة .

وبصعوبة نجا من لدغة قاتلة وجهها له ثعبان متحمس .. ثم شرع يرتفع ، وعيناه لا تفارقان العشرة الثعابين المنتظرة على الأرض من أجله ..

وكذا وصل إلى (عبير) التى ألصقت جسدها المرتجف بالقرميد ... والتصق بها .. ثم إنه مدّ يده يرفع الحبل لأعلى ليستردّ سترته ..

فى تؤدة ارتداها ، وأحكم تثبيت الأزرار ..

راقبته (عبير) فى اشمئزاز .. إنها ترى فى حرصه المبالغ فيه على الأناقة نوعًا من التخنث .. ، كأن هذا الأحمق لا يطيق أن يبدو مشعثًا ربع ثانية تكفيه لفتح الكوّة ..

راح يتأمل الكوّة فى اهتمام .. ووجّه لها ضربتين بقبضته .. من ثمّ تأكد من أنها موصدة بإحكام ..

قال لـ (عبير) وهو ينتزع زرًا من سترة قميصه :

ـ ابتعدى بوجهك قليلاً .

وبشريط (بلاستر) لاصق أحكم تثبيت الزر فى

غطاء الكوّة .. ثم أخرج قداحته وقربها من الزرّ :

ـ إن أزرار (النيتروجلسرين) مفيدة دائمًا !

ـ نيترو ....؟.... هل تمزح ؟

وهنا كان قد أبعد وجهه ، ودوّى الانفجار المريع ليتناثر غطاء الكوّة ويتسرب منها ضوء الغسق الخافت البارد ..

قال لها وهو يتأمل المشهد :

ـ أنا لا أمزح أبدًا فى أثناء الهرب ..!

فى حنق ممزوج بالرضا غمغمت :

ـ كل هذه الأزرار ؟ لا أدرى كيف تتذكرها .. ولا من البائسة التى تخيطها لك بعد عودتك من العمل ..

ـ أوه !.. إن هناك خياطات كثيرات فى مقر المخابرات البريطانية ..

ومدّ جسده ليضع كفّه على حافة الكوة .. ثم جذب جذعه ليمر من خلالها .. ودعا (عبير) إلى أن تحذو حذوه ..

وخارج القبو وقفا يرمقان المشهد من عل فى ضوء الغسق ..

كانا يقفان على إفريز معبد هندى تزدان جدرانه بالوجوه الحجرية ، و (كالا) ذات الستة أذرع ، وعرفا

أنهما خرجا من إحدى القباب العتيقة المتناثرة هنا وهناك ..

كانت هناك درجات حجرية تقود إلى أسفل ، فتقدم (بوند) (عبير) نازلاً هذه الدرجات وهو يتلفت حوله فى حذر .. أخيرًا صارا على الأرض ..

أشار لها كى تتبعه .. واندفعا يجريان حتى وصلا إلى الشارع الرئيسى ، فأوقف (بوند) إحدى سيارات التاكسى « ولم ينس طبعًا أن يتأكد من شخصية السائق الذى كان ـ هذه المرة ـ شابًا تعسًا مريضًا بفقر الدم » .. وقال له :

ـ إلى معبد (شيفا) يا صديقى .. بأسرع وقت ..

واندفعت السيارة تشق طريقها عبر الدروب المتعرجة الضيقة ، المزدحمة بالمتسولين والحواة والأطفال العراة الذين يرمقون السيارة فى فضول ..

* * *

معبد (شيفا) وقد حلّ الظلام ..

عند مدخل المعبد يجلس على درجات السلم الرخامية بعض الهنود العراة يعزفون على آلة وترية تشبه (البانجو) ، وعلى آلة تشبه (القانون) ، تلك الموسيقا الهندية الملتاعة المليئة بالشجن .. كأنها نياط فؤاد يتمزق ..

وأمامهم ترقص فتاتان ترتديان السارى الهندى .. وهما تحركان أناملهما بحركات معقدة كأنها لغة الصمّ والبكم ..

اجتاز (بوند) و (عبير) هذا الزحام .. ولم يفت (عبير) أن تلاحظ ما يفعله (دى جى ـ ٢) من أجلها .. يحاول أن يريها الهند كلها فى سلة واحدة ..

وتصديقًا على هذا الظن ، نظرت إلى الميدان .. فوجدت فيلاً أبيض عملاقًا على ظهره هودج .. وفى الهودج يتأرجح مهراجا يمينًا ويسارًا ..!..

إن (دى جى ـ ٢) يستخف بعقلها حقًا ..!..

دخل (بوند) المعبد .. ومشى بثقة بين الشموع المضاءة والأصنام ، حتى وصل إلى تمثال لـ (شيفا) جالسة على عرشها ، الذى لو تحركت عنه لثارت الزلازل وهاجت البراكين ..

مدّ (بوند) إصبعه إلى القلادة التى على جيد التمثال .. وشرع يضغط الأحجار الكريمة بترتيب معين .. ثم توقف محاولاً أن يتذكر ..

أخرج ورقة من جيبه وأعاد قراءتها :

ـ ياقوت ـ زمرد ـ ياقوت ـ زبرجد .. ثم ياقوت ـ ياقوت .. كدت أنسى !..

وعاد يضغط الأحجار الكريمة (الشفرة) بذات الترتيب ..

وعلى الفور ـ ما إن ضغط على الياقوت ـ حتى مادت الأرض تحت قدميهما .. ووجدت (عبير) نفسها تهوى صارخة إلى أسفل ومعها (بوند) ..

وحين استردت أنفاسها أخيرًا ، وجدت أنها غارقة فى بركة ـ أو حوض سباحة ـ وقد ابتلت حتى النخاع بالماء البارد .. تذكرت ذلك الكتكوت الذى سقط فى وعاء شرب الدجاج فوق سطح دارهم فى دنيا الواقع .. لم يكن أسوأ حالاً منها ..

صعدت إلى خارج الماء وهى تسعل وتبصق الماء .. فى حين تبعها (بوند) وهو راض عن سير الأمور ..

وجذبها من يدها لتقف معه تحت (سيشوار) عملاق متدلٍ من السقف ينبعث منه الهواء الجاف الساخن ..

ـ عليهم اللعنة !

قالت فى حنق :

ـ ألم تكن هناك طريقة أكثر بساطة لتخفيف السقطة ؟!

ـ بلى .. الشبكة أو الوسادات الهوائية .. لكن مندوب المخابرات البريطانية هنا رأى خفض التكاليف .. إن الماء أرخص من سواه !

كانا قد جفا تمامًا .. وإن شعرت أن خصلات شعرها تحولت إلى كتلة من (الزغب) تتطاير فى كل اتجاه ..

وتقدمها (بوند) عبر ممر طويل أشبه بممر فى مدينة الملاهى .. حبال على اليمين واليسار يتدلى منها هنود عُراة وقد دسوا الخناجر ما بين أسنانهم ... واثنان يتسليان بخنق بعضهما ، على حين يتسلى واحد ثالث بقذف الخناجر على فتاة تقف باسمة بمحاذاة الجدار ..

ـ أين نحن ؟

قال (بوند) وهو مستمر فى التقدم :

ـ هذا هو مركز التدريب لعمليات المخابرات .. إن ما ترينه لمكان بالغ السرية ، وأرجو أن يكون مجهولاً لدى الـ (كى ـ جى ـ بى) ..

وهنا انقض عملاق ملتح عارى الجذع على (بوند) ملوحًا بسيف عملاق ، وهو يطلق صرخات مرعبة ..

غمز (بوند) لـ (عبير) بعينه اليسرى ، ثم انتحى جانبًا ليمر العملاق بجواره .. ومدّ طرف حذائه أمام ساق المهاجم ..

وسرعان ما تدحرج هذا أرضًا ..

أخرج (بوند) قلمه الحبر وصوبه نحو العملاق .. وقال فى تشفٍ :

ـ ردىء يا (رامو) .. ردىء جدًا .. والآن يمكننى بكل سهولة أن أمزق أحشاءك بسلاح (الليزر) .

جلس العملاق فى خزى .. ومسح لحيته وقال :

ـ مستر (بوند) .. ما زلت سريع الاستجابة .. إن (الجنرال) ينتظرك منذ ساعتين ..

ـ ليكن ..

هرعت (عبير) تلحق بـ (بوند) ، بينما هو يشق طريقه بين صفٍ من الرجال الملثمين منهمكين فى خنق تماثيل ـ تمثال لكل واحد ـ بالحبال الغليظة ..

قالت له وهى تلهث محاولة اللحاق بخطوته :

ـ إذن فهذا هو مركز قيادتكم ؟

ـ فى (الهند) .. نعم ..

ـ ولكم مركز مماثل فى كل بقعة من العالم ؟

ـ حتمًا .. حتى فى (أنتاركتيكا) ..

ـ أجدها فكرة حمقاء .. ألم تجدوا مكانًا أقل ازدحامًا وإثارة للريبة من هذا المعبد ؟

ـ كلما كان المكان غير صالح للعمل السرى ، كلما كان أفضل للعمل السرى !.. إن قاعدتنا فى (الاتحاد السوفييتى) تقع فى (الكرملين) تحت غرفة نوم (بريجنيف) مباشرة !.. وفى (كوبا) توجد قاعدتنا

فوق دورة مياه (كاسترو) .. إن الرجل يعانى من إمساك مزمن وهذا يقلل فرص اكتشافه أمرنا !

قالت وهى تلتقط أنفاسها بعد لأى :

ـ قال العملاق إن الجنرال ينتظرك .. هه هه .. منذ ساعتين .. هه هه .. هل هو يعلم أنك هنا ؟

ـ حتمًا .. إن الجنرال (بلوفيلد) ينتظرنى دومًا وفى كل مكان من العالم ..

وفجأة صرخ :

ـ انحنى !!

فارتمت أرضًا جواره ، لتسمع صوت صفير .. ثم انفجار مدوٍ شعرت بحرارته تلفح وجهها .. وحين رفعت عينيها وجدت جزءًا من الممر وقد تلاشى .. تحول إلى رماد يتصاعد الدخان منه ..

ومن بعيد أقبل رجل هندى يحمل مدفعًا على كتفه .. وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة مريعة .. قال (بوند) وهو ينهض :

ـ عمت مساءً يا (كريم) .. طلقة غير صائبة ..

قال الرجل فى شىء من حياء :

ـ أردت أن أمازحك يا مستر (بوند) .. فأصيب لفافة التبغ فى فمك دون أن أوذيك !

- ليس بالبازوكا يا (كريم) .. إنها تكون دعابة ثقيلة نوعًا .

* * *

كان الجنرال (بلوفيلد) جالسًا فى مكتبه ، على حين تتناثر على الجدران الخرائط الحربية التى غرست بها الدبابيس الحمراء والخضراء ، وكانت هناك سكرتيرة شمطاء جالسة تدك شيئًا ما على آلة اختزال .. فى حين كان هناك ثلاثة رجال منهمكين فى إجراء الاتصالات الهاتفية .

صاحت السكرتيرة فى مرح وأصابعها مستمرة :

- مستر (بوند) !.. يا لها من مفاجأة !..

وقالت لـ (عبير) باكتئاب :

- لا تصدقيه فى حرف يا صغيرة .. لقد وعدنى بالزواج منذ كنت فى سنك ، وحتى اللحظة لم يف بما وعد ..

قال (بوند) وهو ينزع سترته ، ويلقيها على مكتب السكرتيرة :

- إننى ضعيف الذاكرة يا عزيزتى (هيلين) .. بالمناسبة .. أرجو أن تعيدى تثبيت أزرار هذه السترة .. قد استعملت زرّ (الثعابين) وزرّ (النيتروجلسرين) اليوم .. واستعملت كذلك كعب الحذاء قاذف السهام ..

قال الجنرال وهو يصفّ أوراقه ويرتدى عويناته :

- إذن كان أول يوم لك فى (الهند) صاخبًا يا (بوند) ؟

- هو كذلك يا سيدى .. لقد وجدت (موهاندا) قتيلاً .. وسرقوا الميكروفيلم من (ناتاليا) .. لكننا تبينا بضع كلمات من فم (موهاندا) المحتضر : (كندا) .. المفاعل .. (أونتاريو) .. ، ولعمرى هذا هو ديدن المحتضرين السخيف .. يكتفون بالمبتدأ دون الخبر ..

- على الأقل الخيط يبدأ فى (كندا) ..

ثم عقد أنامله تحت ذقنه متسائلاً :

- متى سترحل إذن ؟

قال (بوند) وهو يمشط شعره بخنجر وجده على مكتب الجنرال :

- غدًا .. فأنا بحاجة إلى الراحة وبعض (الفودكا) مع الصودا ، تم هزّها ولم يتم خلطها ..

- (بوند) !

قالها الجنرال محذرًا ، وضرب المكتب بقبضته :

- هل تريد أن أعطى العملية إلى (٠٠٨) أو (٠٠٩) أو (٠٤٦) ؟..

إنهم جميعًا فى الصف ينتظرون .. دعك من العميل (٣٤٥٦٧٤٢٨٩) الذى ينتظر فشلك فى شغف ..

- لا يا جنرال .. سأذهب الآن .. حفظ الله جلالة الملكة .

ثم أشار لـ (عبير) فى إحباط كى تتبعه إلى الخارج ، سأله الجنرال بينما هما فى طريقهما للرحيل :

- من هى هذه الآنسة يا (بوند) ؟

قال (بوند) فى لامبالاة وهو يرتدى سترته برغم احتجاج السكرتيرة :

- إنها جاسوسة روسية .

- إذن لماذا لا تقتلها ؟!

هزّ (بوند) رأسه فى إنهاك .. وقال :

- لا أستطيع .. لا يوجد نساء فى هذه المغامرة سواها ..

و (بوند) لا يستطيع العمل دون امرأة مذعورة تحتمى به ، وتزيد متاعبه ..

- لا بأس .. ولكن كن حذرًا ..

وهنا دق جرس الهاتف .. فرفع الجنرال السماعة الحمراء ، وطفق يصغى بعض الوقت وقد أشار بيده إلى (بوند) ألا ينصرف .. بدأت علامات القلق ترتسم على وجهه .. وكانت المحادثة بليغة حقًا :

- همم .. هم ؟.. ههم ؟.. هم م م م !.. هم ؟ هم م م م م ؟.. هم !

وضع السماعة .. ثم رفع عينين خطرتين إلى (بوند) .. عينين أدركتا أن الأمر لا عبث فيه .. وقال بلهجة مسرحية :

- كان هذا هو الرئيس الأمريكى ذاته !

- (كلينتون) ؟

- بل (نيكسون) يا أحمق .. لا تنس أن أحداث القصة تقع فى السبعينات .. إن (نيكسون) قلق لأن الأسطول السادس فقد حاملتى الطائرات (ساراتوجا) و (إنتربرايس) وبنفس الأسلوب .. فجأة طارت حاملتا الطائرات فى السماء ، وطاردتهما المقاتلات (الفانتوم) .. لكن محركاتها توقفت عن العمل .. كان ذلك فى بقعة ما من المحيط الهادى .. ويقال إن الطائرات الست قد سقطت فوق (الهند ......) ...

ودوّى الانفجار المروّع .. وسمع الرجال صراخًا آتيًا من الخارج .. ثم اقتحم الغرفة رجل هندى يصرخ فى هستيريا ، والدخان يتصاعد من شعره :

- لقد سقطت ست طائرات (فانتوم) فوق مركز القيادة !

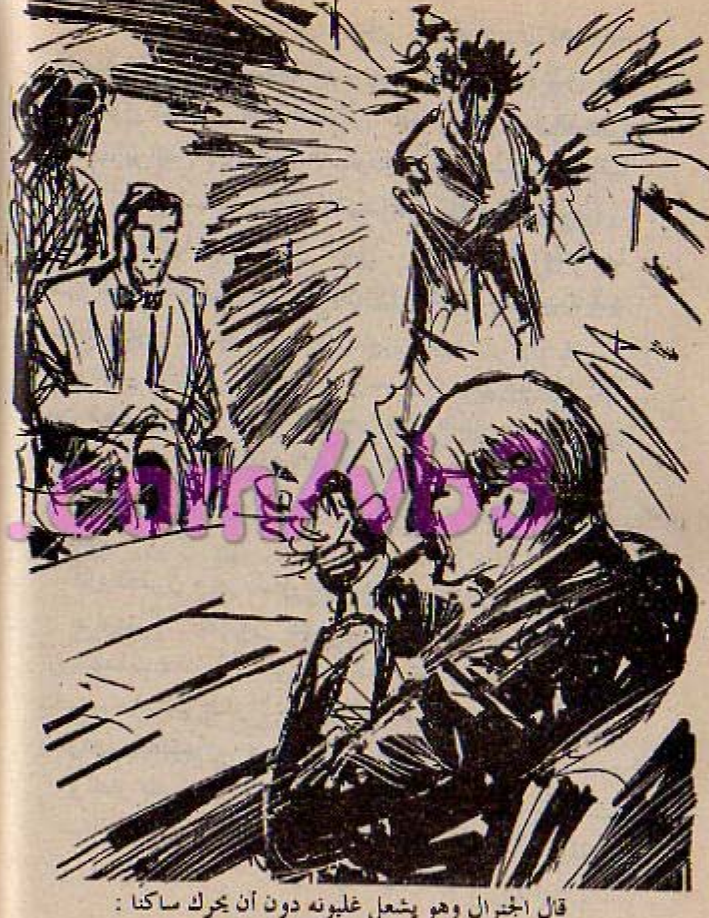
قال الجنرال وهو يشعل غليونه دون أن يحرك ساكنًا :

- أوف !.. ياله من حظ سيئ .. هكذا ترى يا (بوند) أن مهمتك حساسة إلى حد غير عادى .. هناك من يحسب حاملات طائراتنا سيارات يسرقها ويبيعها .. أو يسرقها ويفككها .. أو يسرقها ليتنزه بها ..

وأشار بقوة إلى (بوند) :

- الآن يا (بوند) .. اذهب واقبض عليه !!

* * *



قال الجنرال وهو يشعل غليونه دون أن يحرك ساكنًا :

ـ أوف !.. ياله من حظ سيئ ..

٦ ـ الموت للإصبع ..

فى تمام الثامنة مساء بتوقيت (بومباى) ، والواحدة فجرًا بتوقيت (كوالا لامبور) ، ومنتصف النهار بتوقيت (نيويورك) .. أو أى توقيت يخطر ببالك .. لأن هذه (فانتازيا) ... ظهر على شاشات التليفزيون فى أرجاء الكون ذلك الوجه القبيح المميز للإصبع الذهبى ..

ـ لقد اكتمل انتصارى ..

أصيب الناس بالهلع .. خاصة وأن كلام الرجل كان مترجمًا إلى العربية والأسبانية والروسية والبنغالية و .. و ...

ـ هنا الإصبع الذهبى الذى سيطر على كل الأقمار الصناعية يخاطبكم .. إلى كل حكومات العالم .. إن ألف قذيفة نووية موجهة الآن إلى ألف مدينة هامة فى العالم ..

كانت (عبير) تشاهد هذا على شاشة (التليفزيون) فى ذلك الفندق فى (أونتاريو) ، وقد جلس جوارها (بوند) ، يحسو (الفودكا) بالصودا التى تم هزها ولم

يتم تقليبها .. ويغمز بعينـه لموظفـة الاستقبال بالفندق التى راحت تختلس إليه النظر ..

هتفت (عبير) فى هلع :

ـ ياللهول !.. ماذا سنفعل ؟

ـ صبرًا يا ملاكى .. إنها ـ لعمرى ـ التيمة الأبدية لقصصى .. الثرى المجنون الذى يسيطر على العالم ، ويرغمه على الاختيار بين الدفع أو التدمير .. لابد أنه يهدد باستعمال (س ـ ١٤) ..

كانت تعرف الاستعارة (س ـ ١٤) بحكم دراستها التجارية .. فتساءلت :

ـ تعنى استمارة (الوكلاء الوحيدون) التجارية ؟

نظر لها فى غيظ .. وغمغم :

ـ إن (س ـ ١٤) هو دائمًا قنبلة هيدروجينية ، أو صاروخ نووى ، أو فيروس جديد مرعب .. المهم أن اسمه دائمًا (س ـ ١٤) !

ولكن لنر ما يقول هذا المعتوه ..

كان الإصبع الذهبى يواصل ثرثرته على الشاشة :

ـ ... دون تردد .. ويمكن للحكومات أن تحول دون ذلك لو أنها أرسلت إلى الفضاء قمرًا صناعيًا به ١٢٦ مليار دولار .. أوراقًا جديدة غير معلمة .. وذلك خلال ٤٨ ساعة من الآن ..!

ثم ابتسم فى رقة .. وهتف وهو يشعل سيجارًا :

ـ هنا الإصبع الذهبى يحييكم من مكان ما فى هذا الكوكب !

وانتهى الإرسال الطفيلى ليعود الإرسال الأصلى ..

وفى قاعة الفندق راح الناس يتبادلون صرخات الهلع .. وأغشى على بعض النسوة .. وأصابت إحداهن آلام الوضع ، على حين أخرج أحد المتحمسين مسدسًا من جيبه وأفرغ فى رأسه أربع طلقات .. خرّ على أثرها يتضرج فى دمائه ..

أربع طلقات !.. هتف (بوند) فى إعجاب وهو يشعل لفافة تبغ :

ـ هذا جديد .. فى العادة يموت المنتحر بعد الطلقة الأولى .. هذا هو التجديد الحق !

ثم اكتسى وجهه بمعالم الجدية .. وقال للفتاة هامسًا :

ـ هل لاحظت الخلفية وراء الإصبع الذهبى ؟.. توجد لوحة على الجدار لـ (ديجا) .. هذه اللوحة لا توجد إلا فى مكانين بالعالم : (سيبريا) و (زيمبابوى) ..

كانت هناك لوحة ثالثة عند دكتور (نو) لكنه احترق بها .. والآن هل لاحظت المدفأة الموجودة جواره ؟ هذا يعنى أنه لا يمكن أن يكون فى (زيمبابوى) .. إنه فى (سيبريا) ..

- أنت عبقرى !

- هذا ليس جديدًا .. ثم .. هذا السيجار الذى أشعله .. لا يوجد هذا النوع من السيجار إلا فى (أومسك) .. إذن هو فى (أومسك) بـ (سيبريا) دون جدال ..

قالت له مرتابة :

- لكن الهندى (موهاندا) قال لنا لقطة (أونتاريو) .

حك ذقنه فى إنهاك ، وجرع جرعة من الكأس :

- هذا حق .. لا يمكن أن يكون (موهاندا) قد كذب علينا .. إن (شكسبير) يقول : اصغوا لكلمات المحتضرين .. لأنه حين تغدو الكلمات قليلة يندر أن تقال بلا جدوى ..

ثم وضع ساقًا على ساق .. وأردف :

- لكن استنتاجاتى لا تخطئ .. من يدرى ؟.. ربما تعمد (الإصبع الذهبى) أن يضع فى كادر الصورة ما يوحى بأنه فى (أومسك) بينما هو فى (كندا) ؟ كان يعرف أن أجهزة الاستخبارات ستمسح العالم بحثًا عنه ، وستعيد تأمل كل سنتيمتر فى اللقطة التى يتكلم فيها .. ربما .. لكن هذا يضعنا فى مفترق طرق ، وعلينا أن نختار ..

ثم إنه تثاءب ، ودعا (عبير) إلى أن تصعد إلى حجرتها

لتنال قسطًا من النوم .. فإن غدًا ليوم شاق ..

هزت رأسها أن نعم .. وصعدت الدرج ..

* * *

ما إن دخلت حجرتها حتى أحست بأن هناك شخصًا ما بالداخل .. هذا واضح ..

هناك من عبث بحشية الفراش ، وفتح الدولاب ، وأخرج أدراج الكوموڤ من مكانها .. إنه - والحق يقال - باحث أخرق ..

كادت تغادر الغرفة لولا أنها وجدت من يقف جوار الباب قاطعًا الطريق عليها ..

رجل ناحل الجسد .. أصلع الرأس .. له عينان زرقاوان سامتان .. وفى فمه لفافة تبغ موضوعة فى مبسم ذهبى ، وكان أنيقًا إلى حد الأنوثة ..

أما الأهم من هذا كله فهو أنه كان يحمل عصا أبنوسية مزدانة بالنقوش والزخارف ، وقد انتزع طرفها ، فبدا لها نصل مدبب يلتمع فى ضوء الغرفة الخافت ..

صاحت فى هلع :

- جنرال (تازييف) !

قالتها وشعرت بدهشة ..

هى لم تره من قبل ولا تعرف اسمه .. لكن (دى - جى - ٢) جعلها تعرفه منذ زمن .. وهذا منطقى لأن العميلة الروسية (ناتاليا) تعرف جنرال (تازييف) .. وتتحاشاه .. وترهبه كالموت ذاته .

- تحية أيها الرفيقة (أولجانوفا) !

قالها بلهجة إنجليزية ركيكة ..

وتساءلت عن سبب ذلك .. هو روسى وهى روسية ولا أحد سواهما هنا .. من المفروض أن يتحدثا الروسية ، ثم تذكرت أن الإنجليزية الركيكة هى لغة الحوار الرسمية بين الروس فى قصص (جيمس بوند) .. وحتى فى اجتماعاتهم الخاصة ..

قالت بلهجة مماثلة :

- كـ .. كيف عرفت أننى هنا ؟

ابتسم ابتسامة مقيتة .. وهو يشعل لفافة تبغه :

- إن رجال المخابرات يعلمون - أو يجب أن يعلموا - أشياء كثيرة .. خاصة ما يتعلق بأعداء الحزب ..

قالها وهو يتقدم منها ببطء :

- حلفاء الإمبريالية ..

قالها وهى تتراجع بظهرها للوراء :

- الذين يقضون الوقت مع عميل بريطانى ..

حاولت أن تثبت مكانها .. وبحنق قالت :

- أنت تعرف من هو عدو الحزب الحقيقى .. تعرف من هو سارق الميكروفيلم .. ومن أراد أن يسلمه للإصبع الذهبى ..

ضحك (تازييف) فى استمتاعٍ ، وغمغم :

- يا صغيرة .. أنا لست مبتدئًا ..

وفرد كفه ليعدّ على أصابعها :

- لقد عملت فى (الكى - جى - بى) .. وصرت عميلاً مزدوجًا مما سهل لى العمل فى (السافاك) .. ثم (الموساد) .. ثم (المكتب الثانى) .. ثم (سى آى إيه) و (إف بى آى) ... دعك من تعاونى القذر مع (الجشتابو) فى زمن الحرب(*) ..

وتوقف لحظة ليسترد أنفاسه فى شهقة طويلة .. ثم أضاف :

- وهذا يعنى أنه لا أحد يخدع (هارون تازييف) ويظل حيًا(**) ..

(*) لمن يهمه الأمر : معنى هذه الأسماء بالترتيب هو : المخابرات السوفيتية .. الإيرانية .. الإسرائيلية .. الفرنسية .. الأمريكية .. المباحث الفيدرالية .. المخابرات النازية !

(**) للأسف (هارون تازييف) هو اسم عالم من ألمع علماء البراكين السوفييت . لكن (عبير) لم تجد له اسمًا ذا طابع روسى تسمى به العميل سوى هذا .

ثم أشار إلى صدره بفخر :

ـ إننى لوغد منحل بلا خلاق .. إننى أشرّ الناس طرًا.. إننى أملك كل مثالب ذنب مسعور دون فضائله ..

ثم فى ملل :

ـ والآن .. إلىّ بهذا الميكروفيلم !

ولوّح بالنصل فى وجهها .. فصاحت وقد احتبس الكلام :

ـ لكن .. لكنهم سرقوه .. فى (الهند) .. صدقنى .

وفتحت فاها عن آخره ليلقى نظرة للداخل :

ـ هل ترى ؟.. انتزعوا كل حشو أسنانى بحثًا عنه .

مشى (تازييف) فى تؤدة إلى وسط الغرفة ، وعيناه لا تفارقان (عبير) .. وداعب طرف الملاءة بالنصل الذى فى يده .. كان يفكر فى أشياء عديدة فى اللحظة ذاتها ..

ثم إنه رفع عينيه نحو (عبير) وقال بسأم :

ـ هل رأيت فى حياتك عملية تنخيع ضفدعة ؟

ـ جلوب !.. لا .. !

ـ حسن .. إنهم يغرسون إبرة التشريح فى مؤخرة العنق .. عندئذ تتشنج الضفدعة وتتصلب أطرافها .. ثم تفرغ مثانتها .. وتموت ..

ـ لـ .. لماذا تحكى لى ذلك ؟

ـ إننى أتساءل عن شعور الآدمى الذى يخوض تجربة كهذه !

ـ الميكروفيلم ليس معى ..

قالتها بصوت مبحوح ، والبكاء على الباب ينتظر من يسمح له بالخروج .. هكذا الجنرالات السوفييت فى هذا النوع من القصص .. كلهم مرضى نفسيون .. مولعون بالسادية والتعذيب .. معقدون إلى حد مروّع ، فى الغالب ، لأن الجماهير متعطشة إلى قراءة أشياء كهذه ربما على سبيل الدعاية ضد المعسكر الأحمر ..

هتفت (عبير) والعبرات تغزو عينيها :

ـ هل لك أن تقول لى .. إذا كنتم أنتم من سرق الميكروفيلم فكيف تسألنى عنه ؟!

ـ أنا من يسأل هذا السؤال .. لو كانوا قد سرقوا الميكروفيلم منك لكنت أنا أول من يعلم ..

ثم لوّح بالنصل معلنًا أن صبره نفد .. ما زال مطلوبًا منه قتل خمسة آخرين قبل أن يذهب لينام .. وغدًا يوم آخر ..

قالت له :

ـ أنت لن تنجو بفعلتك هذه فى المخابرات ..

مطّ شفتيه فى اشمئزاز .. وغمغم :

ـ ولِمَ ؟ أنت تعملين مع البريطانيين ، ولهذا سرقت الميكروفيلم منى .. لحقت بك .. وصفيتك جسديًا ... إننى لجدير بوسام مكافأة لى على هذا الحماس ..

وهنا قررت (عبير) أن تفرّ .. لكن الوغد مد يده ليقبض على شعرها الأشقر ـ شعر (ناتاليا) ـ ويرغمها على الركوع أرضًا .. ثم شرع يعتصر خصلات الشعر يلفها حول قبضته ، وهو يضغط على أسنانه باستمرار ..

صرخت (عبير) مرارًا دون جدوى .. لا أحد يسمع ..

وقال لها (تازيف) وهو يواصل اعتصار شعرها بغلّ :

ـ لا جدوى .. لقد قمت باستئجار غرفتين فوق غرفتك .. وغرفتين تحتها .. وغرفتين على يمينها وغرفتين على يسارها ..!.. ثمان غرف كاملة حتى لا يصغى أحد لمحادثتنا .. وقمت بقطع خطوط الهاتف وجرس الخدمة والتلكس والفاكس والتليفزيون .. وقتلت الساقى وخادمة الغرف والحمالين ..

ثم غمغم والفخر يكاد يعصف به :

ـ إننى لرجل أؤدى واجبى كما ينبغى ..

ثم ـ فى مرح ـ رفع خصلات الشعر عن مؤخرة عنقها :



وهنا قررت (عبير) أن تفرّ .. لكن الوغد مد يده ليقبض على شعرها الأشقر ..

- الآن نبدأ تجربة التنخيع ..!

- لا !

- بل نعم ..

- لا !

- بل نعم ..

وشعرت (عبير) بالنصل ينغرس فى أعلى قذالها .. يجب أن تفعل شيئا .. إنها لم تنس كلمات (شريف،) : لو أنها قضت نحبها فى (فانتازيا) لماتت كذلك فى دنيا الواقع ..

وخطر لها هنا أن (ناتاليا أولجانوفا) عميلة (كى - جى - بى) مستحيل أن تكون بلهاء معدومة الحيلة إلى هذا الحد .. تكتفى بالهلع والصراخ .. لابد وأنها تعرف كيف تدافع عن نفسها ..

رفعت قدمها إلى أعلى فوجدتها تطاوعها بخفة والدفاع غريبين .. وفى اللحظة التالية هشم كعب حذائها أنف (تازييف) ..

أطلق سبة روسية بذيئة .. وقال وهو يتحسس أنفه :

- هأنتذى تلعبين بقذارة !.. لا أحب الخيانة أبدًا .. أوه !.. بحق (اللجنة المركزية للحزب،) .. لقد سال الدم من أنفى !

كانت ضربة بحدّ اليد فوق عنقه هى الخيانة الثانية .. ثم جاءت ركلة فى أسفل بطنه لتكون الثالثة ..

أما الخيانة العظمى فكانت ركلة - بعد الطيران فى الهواء - إلى فم معدته ، فخرج الهواء من فيه ..

هتف وهو يترنح والدم يغطى ذقنه :

- (ناتاليا أولجانوفا) !.. لقد استحققت اللحظات التالية !

كادت تواصل الهجوم مستمتعة به .. لقد صارت سادية هى الأخرى وعدوى التوحش تنتشر سريعًا ، لكنها فوجئت به يعتصر بطنه فى شك وألم .. ثم هتف وهو يستند إلى الجدار :

- (ناتاليا) !.. هناك دقات ساعة فى أمعائى !

- تراك ابتلعت ساعة ؟

- بالطبع لا .. لكن ..

ثم هتف ضاربًا جبهته بيده :

- الأوغاد !.. الإصبع الذهبى قرر التخلص منى .. لهذا لم يخبرونى أنهم استردوا الميكروفيلم منك ... إن فى بطنى الآن قنبلة زمنية !

- وكيف ؟.. كيف وضعوها هناك ؟

- لابد أنهم دسوها لى فى كبسولات الفيتامين التى

أعطاها ليلاً .. هذه الكبسولة بالذات كانت ضخمة وخيل لى أن شيئاً يدق بها .. لكنى ـ برغم ذلك ـ ابتلعتها .. يا للهول !.. إننى لرجل ميت !

ثم رفع يده محيياً فى هستريا :

ـ تحياتى إلى الرفيق (كالينوف) والرفيق (سيرجى سيماتوف) والرفيق (ميكائلوف) وكل أعضاء المخابرات .. وتحياتى إلى أمى التى أرادت أن أكون راقص باليه فى (البولشوى) ..

ـ ومتى تنفجر هذه القنبلة ؟.. ربما ما زال الوقت مبكراً ؟

ـ ربما تنفجر بعد ساعات .. وربما تنفجر الآ ......

وتناثرت شظايا الانفجار فى أرجاء الحجرة ، قبل أن يكمل حرف (النون) فى لفظة (الآن) .....

* * *

٧ ـ الرنجة الحمراء ..

اقتحم (بوند) الحجرة ليجد (عبير) واقفة تتأمل الرفات فى بلاهة .. كانت أجزاء الجنرال تلطخ كل شىء فى الحجرة ، والدخان الأسود الكثيف يجعل الرؤية متعذرة .. لكنها كانت تعرف ـ بوضوح تام ـ اسم كل جزء تراه ، وأين كان بالضبط فى الجنرال الفقيد ..

سعل (بوند) مراراً ، ثم سألها :

ـ كح كح !.. هل كنت تدخنين سراً ؟!

لم تجب لأن الكلام احتبس فى حلقها .. لو فتحت فاها لتتكلم لخرجت صرخة وحشية مروعة كفيلة بإيقاظ الموتى ..

لكن (بوند) لم يحتج تفسيرات أكثر .. لقد فهم كل شىء دون عناء ..

قال لها وهو يمدّ يده فى الرماد ليلتقط مبسم الجنرال الذهبى :

ـ كان هذا (تازييف) .. أليس كذلك ؟.. وأظن أن (الإصبع الذهبى) قرر التخلص منه حين لم يعد ذا نفع له .. وعلى كل .. أنا مسرور لأنه لم يؤذك .. أنت

تعرفين ـ مثلما أعرف ـ أن (تازييف) يجيد التخبيع .. إنه واحد من ثلاثة فى العالم هم أساتذة هذا الفن .. أعنى أنه كان واحدًا منهم ..

والتقط حذاءً محترقًا من الأرض ، وقربه من لفافة تبغه ليشعلها .. ثم طوّح الحذاء بعيدًا ودسّ يديه فى جيبى سترته ، وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابًا ..

ثم إنه قال لها بعد تفكير :

ـ أعتقد أننا سنلجأ لأسلوب الـ (رد هرينج) الإنجليزى العتيق ..

أخيرًا وجدت صوتها .. فتساءلت :

ـ (رد هرينج) ؟

ـ نعم .. (الرنجة الحمراء) التى يلقونها فى طريق كلاب الصيد لتضليلها .. سنكون أنا وأنت الرنجة الحمراء التى لن يجرؤ (الإصبع الذهبى) على رفضها ....

ـ ماذا تعنى بالضبط ؟

* * *

اندفعت سيارة (بوند) تشق أمواج المحيط ..

وخلف عجلة القيادة جلس (بوند) مستمتعًا يدندن أحد ألحان البحرية الإنجليزية .. فى حين جلست (عبير) مكتئبة جواره ترمق الأمواج التى تشقها السيارة إلى نصفين .. وتتوقع الشرّ ..



والتقط حذاءً محترقًا من الأرض ، وقربه من لفافة تبغه ليشعلها .. ثم طوّح الحذاء بعيدًا ..

ـ ما رأيك فى (م ـ ١٨) ؟.. سيارتى البرمائية ؟ إن ضغطة واحدة على الزر كافية لأن تختفى العجلات داخل جسم السيارة وتبرز محركات هيدروليكية .. والجديد هنا هو أن سرعة السيارة ثابتة .. أى أنها أسرع من أسرع مركبة بحرية عرفها الناس ..

نظرت إلى لوحة القيادة .. فوجدت أن عداد السرعة قد استحال إلى بوصلة ملاحية ، بينما غدت عجلة القيادة أشبه بالعجلة الخاصة بالسفن ..

معًا يشقان طريقهما عبر أموج المحيط قاصدين حاملة الطائرات الأمريكية (كونستيتيوشن) التى تمخر فى هذه اللحظة مياه المحيط الأطلنطى ، قرب سواحل (كندا) ..

كانت هناك أسراب من طائرات (الفانتوم) تحلق فوق رأسيهما من حين لآخر .. وهذا يعنى أنهما يقتربان ...

ـ (الفانتوم) هى نورس الأسطول السادس ..

قال لها (بوند) :

ـ وحين ترين طائرات (فانتوم) تعرفين أن هناك حاملة طائرات قريبة ، مثلما يعرفك النورس أن الأرض دانية ..

ووراء السيارة ـ التى تحولت إلى يخت ـ شرع سرب من الدرافيل يتواثب هنا وهناك .. و(عبير) لم تعد تعرف ما تشعر به .. من فرط انبهار عصف بأحاسيسها .. بصعوبة تصدق أنها حقًا هنا .. وسط كل هذا السحر ..

أخرج (بوند) جهازًا دقيقًا يشبه (الراديو) ، وشرع يدير أزراره فى براعة .. وهنا رأت (عبير) الدرافيل تكوّن بأجسادها تشكيلات غير عادية .. مرة ترسم شكل النجمة .. ومرة تؤدى نوعًا من باليه الماء .. ومرة تقف جميعًا على ذيولها ..

قال (بوند) وهو يغلق الجهاز :

ـ هذا هو (ت ـ ١٧) .. الذى يخاطب الدرافيل بلغتها غير المسموعة لآذاننا .. من ثمّ يرغمها على أداء تشكيلات نختارها نحن ..

قالت (عبير) وهى تدلى أصابعها فى الماء :

ـ هل كل اختراعاتكم عبارة عن حرف لا معنى لها ورقم سخيف ؟.. منذ بدأت هذه القصة وأنا أسمع (ت ـ ١٧) و(د ـ ٢٠) و(س ـ ١٤) ..

ـ هذا هو البروتوكول ..

وفجأة فارت المياه ..

ورأت (عبير) شيئًا عملاقًا يخرج منها قاصدًا

أناملها التى تدلت فى الماء .. وفى اللحظة التالية رأت رأس سمكة قرش عملاقة يخرج من بين الأمواج مكشرًا عن أنيابه .. ثم يهبط إلى البحر ثانية وسط الرذاذ الذى تطاير فى كل صوب ..

نظرت نحو (بوند) وقد عقد الرعب لسانها ..

قال وهو يرسم ابتسامة اعتذار على شفتيه :

ـ أرى أننا أخطأنا .. دخلنا نطاق قصص (بيتر بنشلى) البحرية .. هذا هو القرش الأبيض العظيم فى قصة (الفك المفترس) ، يبدو أن (كوينت) و(هوبر) يطاردانه الآن .. ما كان يجب أن أدخل هذا القطاع .. فاغفرى لى رعونتى ..

ـ لا عليك .. أنا نفسى أحب هذا الجو .. وأعتقد أننى سأختاره يومًا ما ..

وعاد الصمت الذى لا يقطعه سوى صوت ارتطام الموج .. ومن بعيد لاح لهما الهيكل المهيب لحاملة الطائرات ..

* * *

على متن الحاملة استقبلهما (الميجور جنرال) (لى هارفى أندرسون) ، وهو نموذج رائع للعسكرى الأمريكى كما تراه (عبير) فى السينما .. نحيل ممشوق

القوام حاد النظرات .. يبدو الشعر الأشيب الملتصق بجمجمته على جانبى رأسه تحت (الكاسكيت) ..

قال وهو يصافح (بوند) بيد ككلابات الحديد :

ـ (بوند) مستر (جميس بوند) .. سمعت عنك الكثير ..

ثم غمغم من بين أسنانه :

ـ أعرف أنك جئت لمساعدتنا فى الإيقاع بابن الـ (.....) هذا .. لكن دعنى أؤكد لك يا مستر (بوند) أننا فى غير حاجة لتدخل البريطانيين ـ أولاد الـ (.....) ـ فى عملنا .. ماذا يعرف عميل بريطانى عن حاملات الطائرات ؟.. أعتقد يا مستر (بوند) أنك تضيع وقتك ، ولو لم تكن عندى أوامر صريحة من (البنتاجون) كى أرحب بك لسرنى بكل تأكيد أن ألقى بك فى البحر مع زميلتك الحسناء !.

ابتسم (بوند) ورد التحية بألعن منها :

ـ سيدى .. حين كان أسطول (بريطانيا) يمخر عباب البحر ، ويحكم العالم .. كان أجدادك يرقصون حول النيران حاملين الرماح .. وعلى كل حال نحن لم نأت هنا لمناقشة أينا أسوأ من الآخر .. بل هناك ضرورات يجب أن تكون فى أولوياتنا ..

ودعاهما القبطان إلى النزول فى المصعد .. إلى غرفة محكمة الغلق مظلمة ، لايضىء بها سوى انعكاس الضوء المنبعث من الشاشات على الوجوه الصارمة ..، وعلى سلم خشبى صغير وقف ضابط شاب يحمل مؤشرًا .. وقد عكف يلصق على خريطة مرسومة على لوح زجاجى قطعًا صغيرة من البلاستيك ؛ ترمز إلى قطع الأسطول السادس ..

هتف القبطان فى الرجال دون حماس :

ـ هلموا يا شباب .. حيوا (بوند) !

تعالت الأصوات فى حماس حقيقى هذه المرة :

ـ عليه اللعنة !

همس (بوند) فى أذن (عبير) ؛ وهو يقابل النظرات العدائية بلا مبالاة أنجلوسكونية صميمة :

ـ إن العداء بين (الإنجليز) و(الأمريكان) لن ينتهى إلا يوم الدين .. نحن نراهم مجموعة من المعتوهين الأثرياء .. وهم يروننا مجموعة من ضيقى الأفق ثقيلى الظل ..

ـ لابد أن مجيئك لمساعدتهم قد جرح كبرياءهم ..

ـ حتمًا ..

وهنا قطع همسهما صياح القبطان يهيب بالضابط

الواقف على السلم ، كى يبدأ فى سرد الخطة ..

قال الضابط بلهجة تقريرية باردة سريعة المقاطع :

ـ إن السفينة حاملة الطائرات (كونستيتيوشن) تتحرك على خط عرض (كذا) وطول (كذا) .. بسرعة (كذا) عقدة فى الساعة .. اتجاه الريح (كذا) ..، والجديد هنا هو أن (كونستيتيوشن) تلتزم سياسة (ثرثرة لاسلكية) تامة !.

فى حيرة تساءلت (عبير) :

ـ تعنى صمتًا لاسلكيًا ؟

ـ بل ثرثرة لاسلكية .. نحن نذيع اتجاهاتنا وإحداثياتنا على كل الموجات المعروفة وبعشر لغات ..، بل وإن كل وكالات الإعلام قد أبلغت بمسارنا .. وكل الموانى أخطرت به .. يمكن القول أن لا أحد على وجه البسيطة يجهل أن (كونستيتيوشن) المزودة بمحرك نووى توجد الآن قرب سواحل (كندا) ..

قال (القبطان) وقد عقد كفيه خلف ظهره ، وبدا عليه الرضا :

ـ هذا هو الطُعم الذى لا يمكن مقاومته ..

تساءلت (عبير) بقلق :

ـ وهل سيلتقطه (الإصبع الذهبى) حقًا ..

- لو لم يفعل لكان مخبولاً ..

نظر (بوند) فى ساعته بقلق :

- عشر ساعات وتنتهى المهلة .. أرجو أن يسرع بالهجوم ..

ومن بعيد - عبر الأفق الشرقى - رأت (عبير) سربًا من طائرات (الفانتوم) يحلق فوق أمواج المحيط المتلاطمة .. كانت الشمس تدنو من الغرب لتأخذ حمامها المسائى الدائم .. لهذا بدت الطائرات مجرد نقط سوداء فوق خلفية زرقاء داكنة ، ومن حين لآخر تلتمع فى وجه الشمس المحتضر ..

ثم دنت الطائرات ، ورأت (عبير) أولها تهبط فوق حاملة الطائرات ليتصاعد دخان الاحتكاك ، وهى تقطع الممر إلى نهايته .. فتنفتح المظلة المعلقة فى مؤخرتها .. وتبطىء سرعتها حتى تقف أخيرًا ..

وبعدها تأتى الطائرة الثانية .. فالثالثة ..

وحوش أسطورية مجنحة تكف عن التحليق لتستريح قليلاً ..

وشعرت (عبير) بالفخر .. وقشعريرة تغزو جلدها ..

كل هذا العالم العملاق والتجهيزات .. وكل هؤلاء الجنود .. إنما هو جزء صغير من خيالها الذى اتسع

للمحيط كل ما فيه من بوارج وأسماك قرش وجبال عائمة .

إنها هى من صنع هذا العالم بكل تفاصيله ..

أليس الخيال معجزة ؟.. أليس هو هبة الرحمن العظمى لنا ؟

* * *

لم يطُل الانتظار كثيرًا ..

إن مهلة الإصبع الذهبى تنتهى فى الخامسة صباحًا .. وهذا يعنى أن ثمانية أعشار سكان هذا الكوكب لن يروا السادسة صباحًا بتوقيت (مونتريال) ..

إلا أنه - فى منتصف الليل - فوجئ طاقم حاملة الطائرات بشىء غير عادى ..

إنهم يرتفعون لأعلى !..

وغادر ركاب الحاملة قمراتهم مذعورين .. منهم من يرتدى منامته ومنهم من نام بالفانلة الداخلية ، واحد فقط - هو (بوند) - غادر قمرته مرتديًا ثياب السهرة وربطة العنق وقد امتشق مسدسه .. وغادرت (عبير) قمرتها وهى تحكم غلق (الروب) حول خصرها .. ورأت (بوند) فأصابتها الدهشة ..

لا يبدو لها هذا الرجل ينام أو يُرهق أو يصاب بالإسهال

كما يحدث لكل خلق الله .. دائمًا هو متحفز متوفز .. حاد الذكاء لا يفوته شىء .. ودائمًا متأنق كما لو أنه فى حفل زفافه الخاص ..

هرعا إلى حاجز السفينة ، فوجدا أن الماء يبتعد .. يبتعد .. والسماء تقترب .. تقترب ..

راح البحارة يتصايحون فى هلع ... وجاء القبطان من قمرته يرتدى منامة رُسم عليها (ميكى ماوس) ، فهو لم يجد وقتًا لاستبدال ثيابه ، ورآه الرجال فوقفوا انتباهًا متخشبين ..

قال القبطان للضابط الأول فى صرامة :

ـ سلهم ماذا يحدث هنا ؟

نظر الضابط الأول للضابط الثانى .. وسأله :

ـ ماذا يحدث هنا ؟

وتوالت الأسئلة (ماذا يحدث هنا ؟) متدرجة حسب التسلسل الوظيفى للرتب .. حتى انتهى الأمر بأصغر بحار..

ـ ماذا يحدث هنا ؟

ـ لا أدرى !.. يبدو أن حاملة الطائرات قد فقدت وزنها !.

ومشى (بوند) جوار حاجز السفينة يرمق البحر من أسفل . كان الظلام يغمر صفحة المياه .. لكنه أمر بتسليط

كشافات الـ (سبوت لايت) التى تتميز بأن ضوءها لا يتبدد مهما بعدت المسافة .. أمر بتسليطها لمسح صفحة الماء ..

وعبر شعاع الضوء المتلألئ فوق الأمواج ، رأى الرجال زورقًا يبتعد على عجل وكأن من فيه قد قاموا بمهمتهم ..

ـ أطلقوا النيران على هذا الزورق !

وشرعت كل أنواع المدفعية تهدر فوق حاملة الطائرات ، امتثالاً لأوامر القبطان .. لكن الزورق كان قد ابتعد كثيرًا ..

وهم أيضًا كانوا قد ابتعدوا كثيرًا ..

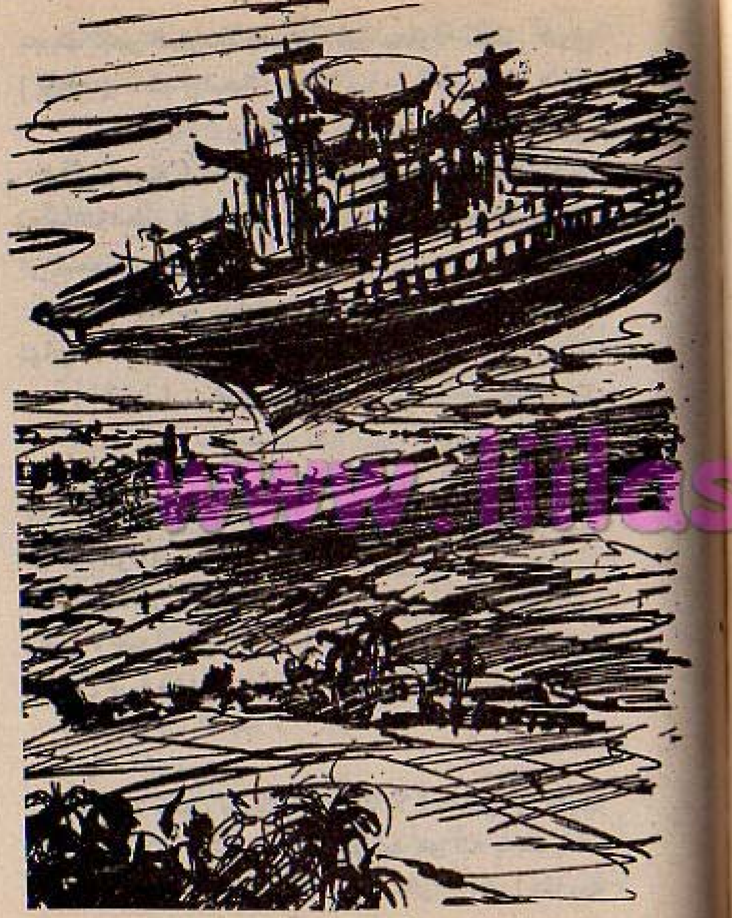
ـ فلتلحق به طائرات المطاردة !

لكن (بوند) أوقفه بحركة صارمة من يده .. وقال وهو يشعل لفافة تبغ بقداحته الذهبية :

ـ لا داعى لذلك . لقد ابتلع (الإصبع الذهبى) سمكة (الرنجة الحمراء) .. ونحن ـ يقينًا ـ نعرف أننا ذاهبون إلى رأس الأفعى .. فلم نضيع وقتنا مع الذيول ؟

..........!

* * *



ها هي ذى حاملة الطائرات (كونستيتيوش) تحلق فى أجواز الفضاء ..

٨ - القاعدة ..

هاهى ذى حاملة الطائرات (كونستيتيوشن) تحلق فى أجواز الفضاء ..

لا داعى لأن أحدثكم عن عبثية الموقف وسخفه بالنسبة لـ (عبير) .. إن كل شىء متوقع فى مغامرة تبدأ بسيارة تقذف صواريخ (أرض ـ جو) .. وحذاء نفاث .. وسيارة تسبح فى الماء .. إذن ليس غريبًا أن ترى حاملة طائرات تحلق الآن فوق صحراء شمال إفريقيا ..

كانت الحياة معطلة تمامًا على ظهر الحاملة ..

وبعد الثرثرة اللاسلكية بدأ (الخرس السلكى) التام ..

ماتت كل أجهزة الاتصال المعقدة على متن السفينة .. وحين حاول الطيارون أن يحلقوا بطائراتهم بحثًا عن نجدة أو عن هدف يقصفونه ؛ وجدوا أن طائراتهم قد تحولت لقطع خردة جميلة المنظر ..

لقد عزلوا تمامًا عن العالم الخارجى ..

لم يعودوا يرون سوى بعض رجال الطوارق يرمقونهم فى دهشة من أسفل .. أو هاوى غرائب يلتقط لهم فى حماس بعض الصور .. ثم إن حاملة الطائرات

عبرت البحر المتوسط بسرعة غير معقولة لتحلق فوق (أوربا) .. ثم (آسيا) ..

* * *

وقف (بوند) مستندًا إلى حاجز الحاملة - إن كان لحاملات الطائرات حاجز - يتأمل البحر .. والمرتفعات فى استمتاع ..

ثم إنه نظر إلى (عبير) المتكئة إلى جواره .. وقال لها وقد عاد يرمق المحيط :

- (ناتاليا) .. أنا مندهش ..

- مِمَّ ؟

- من كونك لم تقعى صريعة غرامى بعد .. أنت أول أنثى - فى عالم الإنسان والحيوان - تقاوم سحر (بوند) كل هذا الوقت ..

- هذا لأننى لا أثق بك البتة أى مستر (بوند) .. وإننى لأعتبرك خنزيرًا جميلاً لا أكثر ..

حدق فى وجهها .. وابتسم ابتسامته الواثقة .. وغمغم :

- هل تعرفين السبب ؟

- ليتك تخبرنى ..

- لأنك لا تثقين بنفسك .. ولهذا لا تصدقين أن يعجب بك (بوند) .. إذن فالاحتمال الوحيد هو أنه يعبث بك ، ولهذا تفضلين أن يعجب بك رجل متراخ هادئ متوسط

الجاذبية .. فأنت قادرة على الثقة بهذا الأخير على الأقل .. ويمكنك أن تصدقيه .. إن عقلك يشعر بأنه لا يستحق مثلى .. لهذا يشمئز منى .. ويعتبرنى وغدًا !.

الواقع أن فى كلمات هذا الأحمق شيئًا من صواب .. إن (عبير) لم تكن ممن يثقون بأنفسهم فى أية لحظة من حياتها ..

لكنها لم تصارحه بشىء .. وعادت ترمق الأمواج المتلاطمة ..

بعد هنيهة سألته فى لا مبالاة :

- إلى أين تظننا ذاهبين أيها الفيلسوف ؟

نظر إلى ساعته .. وغمغم :

- بالطبع إلى (سيبيريا) .. لقد كان حدسى صائبًا فيما يتعلق بمقر الإصبع الذهبى .. ولكم أكره أن أكون على صواب طيلة الوقت ، فأنا بطبعى خجول .. لكنها الحقيقة !..

- إذن (موهاندا) كان .. وكلمات المحتضرين .. و(شكسبير) ؟

- إن (شكسبير) لم يلق (الإصبع الذهبى) .. وعلى كل حال أراهن على أن (الإصبع) ضلل (موهاندا) بشكل ما .. أو أن (موهاندا) كان عميلاً مزدوجًا يكره

أن يموت دون أن تكون آخر كلماته كذبًا .. من يدرى ؟.. لكن لماذا نستبق الأحداث ؟

ونظر إلى بعيد .. وهتف :

ـ إنها نهايتك أيها (الإصبع) !

* * *

البرد يتزايد ..

فى البدء كان الأمر محتملاً .. لكن مع الوقت بدأ الجليد يتكاثف على جدران وحوائط حاملة الطائرات ، وشرع هواء الزفير يتحول إلى ندف من ثلج على الشوارب واللحى ، وازرقّت الشفاه وحلمات الآذان وأطراف الأنوف ..

ولم تدرك (عبير) مدى تدهور الأحوال الجوية ، إلا حين رأت خمسة رجال عاكفين على تكسير الجليد الذى غلف قبطانهم تمامًا .. بدءوا أولاً بفتح ثغرة ليحرروا فمه .. من ثمّ صار بوسعهم أن يسمعوا أوامره وشتائمه .. وإبداعات لسانه السليط ، وهو يوجههم إلى ما يفعلون ..

ـ هلموا حرروا يدىّ يا أبناء الأبالسة !.. يا حثالة !.. يا روث الخنازير وقىء الوطاويط !!..

شرعت ترتجف .. فمدّ (بوند) يده ليضع على رأسها قلنسوة من الفراء وعلى كتفيها معطفًا من

(الإستراخان) .. ثم ناولها مشروبًا ساخنًا يتصاعد الدخان منه ..

سألته فى دهشة وهى تحتضن الكوب بكفيها :

ـ من أين لك بالقلنسوة والمعطف والمشروب الساخن ؟

ـ أوه !.. إن (بوند) يجيد هذه الأشياء .. وليس بوسعك أبدًا أن تعرفى من أين جاء بها ..

رشفت رشفةً من الكوب ، وأحست بالسائل الساخن يذيب ثلج جوفها .. ثم قالت فى حنان :

ـ وأنت ؟.. ماذا ترتدى ؟

ـ إن (بوند) معتاد على هذه الأجواء .. كنت أسبح فى نهر (الفولجا) فى (ديسمبر) هاربًا من رجالكم ..

ثم قال لها مبتسمًا كأنه يحدث طفلا :

ـ لا تنسى أنك ستكملين المغامرة بالمايوه !.. هذه هى تقاليد قصصى التى يجب أن تحترمها بطلاتى .. المشهد الأخير بالمايوه فى أثناء تفجير القاعدة !

ـ عليك اللعنة !!

صرخت فى غلّ .. وكادت تقذف المشروب فى وجهه ..

ـ أولاً : لست من بطلاتك ولا أريد أن أكون ..

ثانيًا : كيف بلغت بك الوقاحة أن تقول لى شيئًا كهذا ؟

ثالثًا : لابد أنك مخبول كى تتحدث عن مايوه فى (سيبيريا) !

هزّ رأسه فى إحباط .. وأشعل لفافة تبغ ..

ـ يا للخسارة !.. كما تريدين .. لكن هذا كان سيحقق نجاحًا جماهيريًا عظيمًا .. إن هذه الأشياء تروق للشباب .

ـ الشباب المنحلّ !..

ـ ليكن .. ولكن .. ماذا أرى ؟.. هل ترين ما أراه ؟!

نظرت (عبير) إلى ما يشير إليه (بوند) .. وغمغمت :

ـ للأسف .. أراه بوضوح تام !

* * *

كان الجبل الجليدى الذى تحلق فوقه حاملة الطائرات ينفتح ببطء شديد .. كأنه بوابة .. أو وحش أسطورى يفغر فاه ليلتهم فريسة واهنة يائسة ..

وفى هذه اللحظة بدأت الحاملة تنزلق لأسفل على مراحل متتابعة قاصدة داخل هذا الفم المفتوح ..

شرع البحارة يولولون .. ويركضون هنا وهناك .. وعمت الفوضى .. أما القبطان فدنا من (بوند) ليقول له فى حسم :

ـ يبدو أن الحين قد حان .. إنها قاعدته ..

ـ بالتأكيد .. جبل جليدى من البلاستيك الأبيض .. يالها من فكرة جهنمية تصمد أمام أى مسح جوى محتمل !.. والآن أيها القبطان .. أريد و(ناتاليا) أن تجدوا لنا

بذلتين من ثياب البحارة .. إن اختفاء فتاة ورجل يرتدى بذلة السهرة وسط هذا الجمع لأمر عسير حقًا ..

وهكذا ....

أسرع (بوند) و(ناتاليا) بارتداء ثياب البحارة .. وعقصت (ناتاليا) ـ أعنى (عبير) ـ شعرها الأشقر تحت البيريه .. ثم إن (بوند) أخرج من جيبه شاربًا أشقر كثًا ألصقه فوق شفتها العليا .. لم تر داعيًا لأن تسأله عن سبب حمله لشارب فى جيبه ..

ثم إنه أخرج أنبوب دهان كتب عليه (شعر قصير ٨٠ ٪ ـ دهون ٢٠ ٪) ، ومسح به خديها وذقنها ..

فما إن جف الدهان حتى صار وجهها مليئًا بشعر قصير خشن ، يوحى بأن ذقنها لم تحلق منذ أسبوع ..

أما (بوند) فأخرج من جيبه جرحًا يلصق بأسلوب (الستيكر) ، وقام بتثبيته على خده الأيسر .. ودس غليونًا فى فمه .. وراح يترنم بأغانى البحارة البذيئة ..

ـ ألا ترى أنك تبالغ فى التنكر نوعًا ؟!

ـ إننى متنكر كبحار يبالغ نوعًا ..

وفى هذه اللحظات كانت الحاملة تنحدر لأسفل إلى داخل الجبل الجليدى ، الذى بدأ سقفه يلتئم ببطء مداريًا أية فتحات .. ومن الدخل رأى الرجال عالمًا أسطوريًا ..

كان هناك بحر مترامى الأطراف ، وملايين الكشافات التى أحالت الظلام نهارًا ، ومئات السقالات الفولاذية والأسلاك والمواسير الصقيلة اللامعة ..

ورفع (بوند) عينيه فرأى صفوفًا من الرجال يرتدون جميعًا زيًا موحدًا ، وكل منهم يحمل مدفعًا غريب الشكل مصوبًا إلى حاملة الطائرات ..

وحين نظر إلى الأفق رأى عددًا لا بأس به من حاملات الطائرات تقف متلاصقة ، كلها فى هذا المحيط الصناعى ..

همست (عبير) فى أذنه وهى تداعب شاربها :

ـ كيف ، ومتى بنى هذه القاعدة التى تسع كل هذه المدن العائمة ؟

قال (بوند) وهو يضع عدستين ملتصقتين سوداوين على مقلتيه :

ـ كلهم يفعلون هذا فى قصصى .. ولا أحد يتحدث أبدًا عن كيفية الحصول على المعدات ، والمال ، والرجال لبناء مكان كهذا .. كل ما يمكن قوله هو أن المكان موجود .. وقد بناه الإصبع الذهبى داخل هذا الجبل المزيف ..

ـ ماذا يفعل بهذه الحاملات ؟

أجاب وهو يقتلع ثلاثة من أسنانه إمعانًا فى التخفى :

ـ لا أدرى .. لكن الملاحظ أن جميعها يعمل بمحرك ذرى .. ربما هو يستخدم وقودها لغرض ما ..

ـ وكيف طرنا ؟

قال وهو يضع قرطًا فى أذنه :

ـ هذا هو ما أتوق لمعرفته .. والآن كفى عن الأسئلة لنرى ..

أخيرًا تهبط الحاملة إلى الماء .. وترتفع الأمواج من حولها ، على حين يردد صوت فى المكبر :

ـ حاصروها تمامًا .. أريد رجالاً فى الجهات الأربع ..

وعلى الفور راح الرجال ذوو الزىّ الموحد ينتشرون فوق السقالات الفولاذية موجهين مدافعهم نحو الحاملة ..

ـ البسوا أقنعة الغاز !

رفع كل رجل إلى أنفه قناع غاز يتدلى منه خرطوم إلى خزان على ظهره .. فبدوا كغزاة المريخ ..

ثم دوّى الصوت من جديد :

ـ إلى قبطان (كونستيتيوشن) .. قل لرجالك أن يستسلموا دون قيد ولا شرط ، فإن هذه الأسلحة ترش غاز (السارين) السامّ ، ولن نحتاج إلى وقت طويل قبل إبادتكم جميعًا ..

نظر القبطان إلى ضباطه ، وفى حنق هتف :

- اسمعوا ما يقول ابن الـ (.....) هذا ..

من جديد دوى الصوت :

- لابذاءات يا قبطان وإلا أثرت حنقى !

فى ذهول تلفت القبطان حوله .. ثم التفت نحو (بوند) :

- لـ .. لقد سمعنى !

- بالتأكيد هو يتابع الموقف من دائرة تليفزيونية مغلقة .. كن حذرًا إذن فيما تقول وإلا سمعك ابن الـ (.....) هذا كما تقول !..

مرة أخرى دوى الصوت :

- والآن بنظام .. ستخلون حاملة الطائرات .. لا نريد متخلفين عليها ، لأننا سنقوم بتفتيشها بدقة ، وسنزيل آثار من نجده بها ..

ورأى (بوند) و(عبير) جسرًا فولاذيًا ينحدر من أعلى ليسير عليه الطاقم والبحارة ، ليقودهم إلى فتحة فى الجدار يحرسها رجال مدججون بالسلاح ..

وبدأت المسيرة تتحرك .. عرض الطابور ثلاثة رجال فى كل مرة .. أحيانًا كان أحد الأسرى يحتج أو يقاوم آسريه ، من ثم تنهال على رأسه الضربات بـ (دبشكات) البنادق .. وفى مرة أو مرتين دوى صوت طلقات نارية يليها صوت جسم يسقط فى الماء .. وعلى صفحته ينتشر اللون الأحمر القانى ..

كان (بوند) يضغط على أسنانه فى صبر ..

هكذا ديدن أبطال القصص .. لا يخافون ولكن (يغضبون) فقط ..

أما (عبير) فلم تكن بطلة ، وكانت ساقاها ترتجفان تحتها كالجيلى .. ورأت أنها إن نظرت إلى آسريها ستلفت نظرهم ، وإن تحاشت النظر إليهم ستثير ريبتهم .. وهنا ..

- نياهاهاهاهاهاه !..

دوت الضحكة المروعة .. وخيل إلى (عبير) أنها سمعتها من قبل ، ولكن أين ؟

لقد خطر نفس الشىء لـ (بوند) لأنه رفع وجهه لأعلى بحثًا عن صاحب هذه الضحكة ..

وكان واقفًا هناك .. بلحيته المشعثة ، والخنجر الذى يخترق خديه ، وعمامته العالية ، والنظرة المنذرة بقطع الرقاب فى عينيه .. يرمقهم بها حيث وقف فوق رافدة معدنية ..

كان هذا هو (راجا) سائق التاكسى المزيف !....

ارتعدت فرائص (عبير) ، ونظرت نحو (بوند) مستنجدة .. لكنه همس لها فى حزم :

- ثقى بتنكرنا .. أنت لم تعودى امرأة وأنا لم أعد أنا .. إنه يحتاج إلى فراسة غير عادية كى ....

وهنا دوّى صوت (راجا) الغليظ قادمًا من علٍ :

ـ هاتوا لى هذا الرجل حالاً !.

فى اللحظة التالية رآه (بوند) يشير باتجاه (عبير) .. لكنه لم يكن واثقًا تمامًا من ذلك .. فأشار إلى نفسه :

ـ هل تعنينى أنا ؟!

ـ لا ... أيها الأحمق .. هذا الرجل .. هذا !

أشار رجل آخر إلى نفسه :

ـ أنا ؟

ـ لا ...

ـ إذن أنا ؟

ـ لا ...

ثم إن (راجا) صاح وقد نفد صبره :

ـ سآتى به أنا من أذنيه .. وسأطيل لقبته بشيفى !

ووثب كالقرد متعلقًا بالسقالات ـ معذرة أعنى السقالات ـ حتى وصل إلى الجسر حيث وقف (بوند) و(عبير) ..

وامتشق سيفه العملاق المرعب ورفعه فى الهواء .. وباليد الأخرى أمسك بتلابيب (عبير) صائحًا :

ـ « إنه أنت ولا أحد سواك !.. أنت يا حمّال ! »

* * *

٩ ـ دقـــائق ..

لم تكن (عبير) قد فقدت بصيرتها تمامًا .. فما دام هذا البولدوزر يخاطبها بصيغة المذكر ؛ فمن المؤكد أنه لم يكشف سرّها بعد .. لهذا تظاهرت بالغباء وأظهرت الرعب .. راحت تتطوح يمينًا ويسارًا مع ذراعه القوية قائلة بصوت رجولى :

ـ ماذا هناك يا رجل ؟.. أنا لم آت شرًا ..

لو أنه أطار البيريه من فوق رأسها لانكشف كل شىء .

قال (راجا) وهو يضغط على أسنانه :

ـ لماذا تنظر لى بهذا الفضول يا رجل ؟.. إننى إنسان خجول !.. النظرات تثير ارتباكى ..

ثم لوّح بالسيف .. وهتف :

ـ إننى لرجل مرهف الحسّ !

وهنا حولت (عبير) التملص .. فطار (البيريه) من فوق شعرها الأشقر .. وفى اللحظة التالية كان (راجا) قد مدّ يده لينتزع الشارب ويرمقها فى ذهول .

ـ إذن فأنت ..؟

ثم نقل عينيه المتوحشتين نحو (بوند) .. وهتف :

- وإذن .. فأنت ..؟

انتزع (بوند) أثر الجرح من خده .., وهزّ رأسه محييًا :

- (بوند) .. (جيمس بوند) فى خدمتك يا صديقى !

إلى الخلف تراجع الرجل .. تراجع .. وصاح فى الرجال المحيطين به :

- احملوهما إلى الرنيش .. إنه سيلتهمهما طازجين !

* * *

عبر أروقة هذا الوكر السرى مشوا محاطين بالحراس ..

كانت هناك دهاليز عديدة ، وأبواب تفتح بالبصمات الحرارية ، وكاميرات تليفزيونية للمراقبة ، ومصاعد .. وما إلى ذلك من هذا الهراء الذى يملأ مخ (عبير) ..

قالت وهى تتأمل الحراس بزيهم الأزرق الموحد ، وخوذاتهم، وأحذيتهم المطاطية ، ورمز الإصبع الذهبى على صدورهم :

- من أين يجىء هؤلاء ؟ وكيف يتم تنظيمهم بهذا الأسلوب الذى يفوق نظام أكفأ الجيوش ؟ هل لهم أسر ؟ ومتى يحصلون على إجازاتهم ؟

قال (بوند) وهو يمشط شعره بمشط صغير ، ماشيًا جوارها :

- لا تسألى عنهم .. فهم فى كل قصصى .. تشعرين أنهم ولدوا فى هذا المكان .. وكلهم بلا مشاعر ولا عواطف .., على كل حال توجد قاعدة هامة .. كلما ارتدى رجال العصابة زيًا موحدًا مطاطيًا كلما كان القضاء عليهم أسهل كقتل البعوض ..

ثم نظر إلى ساعته فى سأم :

- يجب إنهاء هذه القصة ونسف القاعدة سريعًا .. إن لدىّ مهامّ أخرى فى (ميامى) ..

- كم بقى من وقت على المهلة ؟

- ساعتان .. لا أكثر ..

وهنا انفتح أمامهما باب فى الجدار .. وقادهما الحراس إلى قاعة ذهبية الجدران يتوسطها تمثال عملاق لإصبع مذهب يشير إلى السقف .. فى كبرياء ..

وكانت هناك بركة صغيرة تحيط بالإصبع المذهب ، تسبح بها زعانف سوداء مدببة لأسماك قرش .. تلك الزعانف المثلثة التى ارتبطت بالرعب فى الأذهان ، وكانت المياه نفسها حمراء اللون تغلى ويتصاعد منها الدخان ..

قال (بوند) وهو يشعل لفافة تبغ :

- (ماجما) وخمم !.. إن هذا الرجل لا يمزح .

- وكيف تظل أسماك القرش حية تسبح فى الخمم ؟!

نظر لها (بوند) هنيهة .. ثم نفث الدخان وقال :

- فاتنى هذا .. هو خطأ من المؤلف دون شك .. لكنه ليس خطأ فادحا .. وفى الأغلب لن يلاحظ القراء هذا ..

فى ركن القاعة توجد مائدة عملاقة .. وعلى الجدار خريطة هائلة الحجم للعالم .. بينما جلس عند طرف المائدة رجل ضئيل الحجم ، قصير شعر الرأس .. أقرب إلى الطفولة فى ملامحه .. وخلفه رأت (عبير) لوحة (ديجا) إياها .. والمدفأة ..

كان هذا هو الإصبع الذهبى ...

* * *

لفترة لا بأس بها راح الرجلان يسترجعان - فى حنين - ذكرياتهما المشتركة .. كيف منع (بوند) خصمه من الغش فى لعب الورق عن طريق سماع رسالة لاسلكية تصف أوراق خصمه .. وكيف كاد الإصبع يشطر (بوند) بأشعة (الليزر) .. وكيف غرق الإصبع فى الذهب المصهور .. وكيف .. وكيف .

حتى أوشكت (عبير) أن تصاب بجنون هستيرى ..

وهنا قال (بوند) لخصمه وهو يجلس إلى المائدة :

- لقد كانت أياما مجيدة أيها الإصبع !

قال الإصبع وهو يضغط على زرّ ليخرج له بار صغير من الجدار :

- إن كل أيامى مجيدة يا مستر (بوند) .. ماذا تشرب ؟ فودكا بالصودا .. تم هزها ولم تخلط ..

آه .. نسيت .. وماذا تشرب عميلتنا السوفيتية الحسناء ؟

ضحكت (عبير) فى رقة :

- عصير (مانجو) لو سمحت ..

قال وهو يصب المشروبين فى كأسين ذهبيتين :

- اختيار طيب .. إن (المانجو) والبرتقال لهما لون الذهب .. وأنا أعشق الذهب .. ولأننى كذلك عدت لنشاطى من أجل جمع بعض (الفكة) .. الابتزاز هو مشروعى للمستقبل وللحاضر .. ووسيلتى لذلك هى التهديد باستعمال ...

- (س - ١٤) ..

قالها (بوند) فى ملل ..

نظر له الإصبع فى ذهول .. وهتف وهو يسد الزجاجات ..

- كيف عرفت ؟ لا أحد يعرف بأمر (س - ١٤) ..

يبدو لى أنكم تعرفون أكثر مما ظننت ..

ابتسم (بوند) فى غموض .. أما (عبير) فكانت تذكر كلماته .. السلاح السرى الذى يهدد العالم اسمه دومًا هو (س ـ ١٤) سواء كان صاروخًا نوويًا أو قنبلة نيوترونية أو فيروسًا ..

واصل الإصبع كلامه :

ـ إن (س ـ ١٤) هو نظام نووى متقدم صنعه لى علماء كثيرون من (روسيا) و(أمريكا) .. وهذا النظام قادر على تفجير نصف الكرة الأرضية وتشويه نصفها الآخر خلال عشر ثوان من استعماله .. لكن كانت هناك مشكلة دائمة ..

ـ (البلوتنيوم) ..

قالها (بوند) ملحًا ـ كالعادة ـ على كونه يعرف كل شىء ..

فى توقير رفع (الإصبع الذهبى) كأسه .. وهتف :

ـ هذا هو (بوند) العظيم .. نعم .. (البلوتنيوم) .. تلك هى المشكلة الحقيقية .. ولم تكن ثمة وسيلة للحصول عليه سوى سرقة حاملات الطائرات ذات المحركات النووية .. إن كل حاملة تضيف إلى قوتى أطنانًا من (البلوتنيوم) ..

مالت (عبير) على أذن (بوند) وهمست :

ـ هل حاملات الطائرات مصدر غنى بـ (البلوتنيوم) حقًا ؟.

همس (بوند) بدوره :

ـ لا عليك .. إن الدقة العلمية لم تكن قط من صفات (إيان فلمنج) حتى (هتشكوك) نفسه فى أحد أفلامه جعل العصابة تهرّب (اليورانيوم) فى علب الطعام المحفوظ برغم علمه أن هذا مستحيل ؛ لكنه من أجل التشويق تجاهل هذا عمدًا ..

ـ فيم تتهامسان يا مستر (بوند) ؟

تساءل الإصبع فى هدوء .. فأجابه (بوند) بثقة :

ـ فى القضاء عليك طبعًا ..

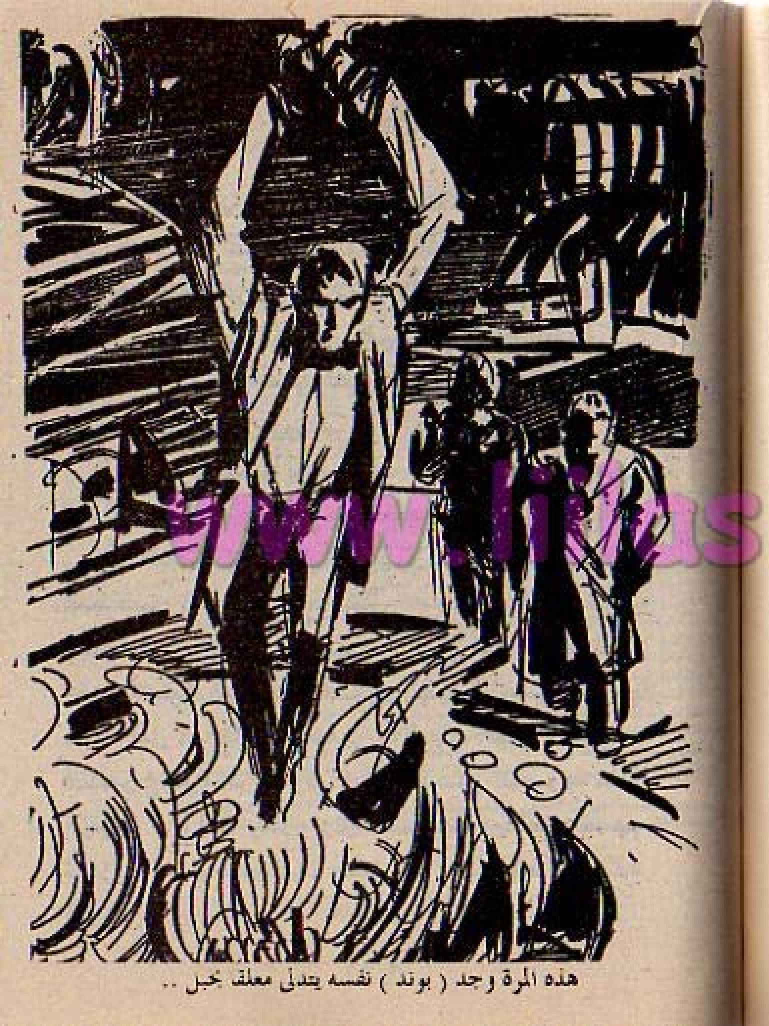
ـ إذن احلما كما تريدان .. فلا ضريبة على الأحلام .

ثم عاد يواصل تفاخره :

ـ أما عن أسلوب الاختطاف فبسيط جدًا .. إذ يتسلل أحد زوارقى ليلًا ليلصق بجسم حاملة الطائرات جهازًا كهذا ..

ومد يده يريهما جهازًا فى حجم الراديو الترانزستور .

ـ وهذا الجهاز يلغى تأثير الجاذبية على حاملة الطائرات ، فترتفع لأعلى .. ثم يبدأ الجهاز فى إطلاق


هذه المرة وجد (بوند) نفسه يتدلى معلقًا بحبل ..

دفقات هوائية واهنة لكنها كافية لتوجيه الحاملة إلى حيث أريد أنا .. حين يفقد الجبل وزنه يمكن لطفل رضيع أن ينقله إلى أى مكان ..

كادت (عبير) تصرخ .. إن المسألة (واسعة شوية) ، ثم رأت أن كلا الرجلين سيطالبها بإلغاء عقلها لأنها فى (فانتازيا) .. لهذا آثرت الصمت ..

ونظر الإصبع الذهبى إلى ساعته .. وهتف :

ـ لم يستجب الحمقى لأوامرى .. ولم يرسلوا الـ ١٢٦ مليارًا إلى الفضاء الخارجى ، وهذا معناه أن الوقت قد حان لتنفيذ تهديدى ..

لقد بقيت لهم عشر دقائق على كل حال ، ويمكننا الاستفادة منها فى التخلص من ضيوف غير مرغوب فيهم ..

وأشار إلى الحراس .. ثم إلى (بوند) إشارة ذات معنى ..

* * *

هذه المرة وجد (بوند) نفسه يتدلى معلقًا بحبل .. والحبل معلق فوق النافورة إياها الملأى بأسماك القرش والحمم ..

وكانت هناك آليات شديدة التعقيد تحيط به فى كل

مكان .. وجاء الإصبع الذهبى يشير بمؤشر إلى أجزاء هذا النظام المركب ، وقد بدا عليه الطرب من موهبته الابتكارية :

ـ فى البداية يا مستر (بوند) ستحترق هذه الشمعة عن آخرها .. وعندئذ يخف وزنها فترتفع . هكذا .. من ثم ترتفع كفة الميزان التى ثبتت عليها .. تلمس الكفة هذا الزر فينسكب الحمض على هذا الملح القلوى .. يتصاعد غاز (ثانى أكسيد الكبريت) ليملأ هذا البالون .. عندئذ يتمدد البالون ويجذب هذا الحبل .. هل تراه ؟

عندئذ يجذب الحبل بدوره زناد البندقية .. تخرج من البندقية رصاصة لتضرب هذا الملف الكهربى .. بالتالى ـ وهذا طبيعى ـ تنقطع الكهرباء فى الدائرة ويتعطل المغناطيس الذى يرفع هذا الثقل ... ويهوى الثقل فوق زجاجة تحوى فلز (الصوديوم) .. إن هذا الفلز يحترق عند ملامسة الهواء .. فما إن يحترق حتى يحرق بدوره ذيل هذا الفأر الصغير .. شيثب الفأر لأعلى .. فتتدحرج كرة من فوق هذا المنحدر لتضرب هذا الزنبرك .. وقتها يتحرر وتر السهم .. وينطلق السهم ليمزق الحبل الذى أنت معلق به .. لتسقط فى هذه البركة ..

وتوقف ليلتقط أنفاسه المبهورة .. ثم أردف :

ـ .. وتموت يا مستر (بوند) !!

تنحنح (بوند) وهو معلق كالثريا فى طرف الحبل .

ـ معذرة .. هل مات كثيرون بهذا الأسلوب من قبل ؟

ـ عشرات ماتوا به .. وإن كان أكثرهم قد ماتوا بفعل الملل أو الشيخوخة .. لكنى أضفت بعض الإضافات من أجلك خصيصًا ..

سألته (عبير) مختنقة :

ـ لماذا لاتطلق الرصاص عليه وينتهى الأمر ؟.. إنه يفلت دائمًا من أساليب الموت البطىء هذه ..

ـ لا يمكن .. إن القتل السريع فظ لا يثير الخيال .. لابد من التوتر .. التوتر الذى يجعل القارئ يجلس على طرف مقعده ..

تثاءبت .. وقالت :

ـ لقد بدأ الملل يقتلنى حقًا ..

مد يده يمسك بمعصمها ، وقال لها بلهجة إغراء :

ـ ستعرفين الآن أنه لا ملل فى حياتى ..

ورفع عقيرته صائحًا ليسمعه (بوند) :

والآن يا مستر (بوند) .. وداعًا .. أراك فى الجحيم !

وبيد لا تهتز أشعل الشمعة .....

* * *

١٠ - دقائق أقل ..

ما إن ابتعد (الإصبع الذهبى) وأسيرته حتى قادها إلى غرفة صغيرة بها مائدة .. عليها شمعدان من ذهب .. وكأسان .. ودلو به زجاجة .. وفى جو الغرفة ذات الإضاءة الخافتة راحت موسيقا رقيقة تعزف .. ودنا ذلك الهندى الملتحى - (راجا) - من المائدة ليقف جوارها يعزف ألحانًا شاعرية على كمان صغير ألصقه بذقنه ..

نظرت (عبير) فى وجل إلى كل هذا .. وإلى العازف الذى يقف جوارهما يرمقهما بنظرات نارية .. وتساءلت :

- ما هذا الذى يجرى ؟

أمسك (الإصبع الذهبى) بأناملها ولثمها :

- إننى إنسان شاعرى رومانسى فى الحقيقة يا مس (أولجانوفا) .. ولا تدعى نفسك تنخدعين بالسمعة التى يطلقونها حولى .. أنا لست بالقسوة التى يزعمونها .

ثم رفع عينيه بصرامة نحو (راجا) :

- هذه النغمة نشاز يا (راجا) !

ارتجف العملاق .. وقال متلعثمًا :

- مـ .. معذرة يا سيدى .. حسبت لـ... لحيتى وترًا !

ابتسم (الإصبع الذهبى) وصبَّ شيئًا فى الكأسين ، وهو لا يرفع عينيه عن (عبير) .. ثم غمغم برقة :

- حتى (راجا) هو إنسان رقيق خجول إلى حدّ لا يوصف .. وكدأب الخجولين يحاول أن ينهمك فى عمل ما لينسى حياءه المفرط .. مثلاً (راجا) يقطع الرقاب ليتغلب على خجله الممض هذا ..

ثم انحنى فوق المائدة ليدنو منها أكثر .. وقال :

- والآن - يا مس (أولجانوفا) - أعتقد أننا سنحقق الكثير بتعاوننا .. إن عميلة الـ (كى . جى . بى) الجميلة الذكية تعرف متى وكيف يكون القتال غير ذى جدوى .. عليك أن تختارى المعسكر الأقوى ، واعلمى أنه لا حلول وسطًا مع (الإصبع الذهبى) .. من ليس معى هو ضدى .. فماذا تقولين ؟.

كانت إجابتها بليغة جدًا ومختصرة ..

رفعت الكأس الذى ناولها إياه - وكان يحوى مادة بيضاء غامضة - وقذفت محتواه فى وجهه ..

حقًا هى تخشاه كثيرًا .. لكن أسلوبه الثعبانى فى إغرائها جعلها أقرب إلى الغضب منها إلى الخوف ..

أخرج منديلاً حريريًا مسح به وجهه فى تؤدة ..

ثم قال ، وهو ينظر إلى (راجا) :

- أخشى أن أوان التعاون قد فات .. لقد وصلنى ردك كاملاً غير منقوص .. ولم يعد أمامى حلّ سوى (راجا) .

رمى العملاق الكمان أرضًا .. وأخرج سيفه الهندى البتّار .. حين رأته (عبير) أدركت لماذا كان شعراء العرب الغابرون يصفون السيف بـ (المهنّد) أو (الهندى) أو (أبيض الهند) ..

من الواضح أن لهؤلاء الهنود باعًا طويلاً فى صنع السيوف .. هذا السيف لا يحتاج لقوة من أى نوع كى يطير الرقاب ، ولو أن بعوضة حطت على حدّه لانشطرت إلى نصفين .. حتى لو كانت بعوضة مصابة بالهزال ..

وهنا ظهر (بوند) حاملاً مدفعه ..

* * *

- مستحيل هذا !.. أنت ميت !

قال (بوند) ، وهو يشير لـ (عبير) كى تلحق به ، وتحتمى وراءه كما يحدث فى كل أفلامه ، ويرفع بيده الحرّة الكأس التى كانت على المائدة :

- إن الأشباح لا تحمل المدافع يا إصبع ..

- وكيف تخلصت من أسرك ؟

- ولماذا أخبرك ؟.. لعلك مكرر الغلطة مرتين .. ، والآن .. هيا أوقف عمل (س - ١٤) هذا حالاً ..

- مستحيل !

واندفع جاريًا مغادرًا الغرفة .. فأطلق (بوند) طلقتين تحذيريتين اصطدمتا بحلق الباب .. ثم جذب الفتاة من يدها وهرع يحاول اللحاق بعدوه .. غير عابئ بالهندى الذى لوّح بسيفه وخرج وراءهما ..

وهنا دوى صوت آلى بارد :

- ثلاث دقائق على الكارثة !

خرج (بوند) ملهوفًا إلى القاعة التى كان مقيدًا بها من ثوان ، فوجد (الإصبع الذهبى) عاكفًا على ضغط مجموعة من الأزرار على الجدار .. وشرعت نقاط حمراء تضىء على الخريطة العملاقة : (موسكو - واشنجتون - لندن - باريس - القاهرة - إسلام آباد - ماناجوا - ليما - بوخارست) .. إلخ ..

- دقيقتان على الكارثة !..

أطلق (بوند) دفعة من سلاحه على النقاط الحمراء ، وعلى الأزرار ، وعلى كل شىء تقريبًا .. فانفجر كل هذا وتصاعد الدخان واللهب .. لكن (الإصبع الذهبى) صاح :

- يا لك من أحمق !.. كانت هذه الأزرار هى أملك الأخير لوقف ما يحدث .. أما الآن .. فلا جدوى !

وانفجر يضحك .. يضحك ....

دون كلمة أخرى هرع (بوند) إلى الرجل ، ورفعه من ياقة بدلته .. واتجه به إلى .. إلى بركة الحمم ..

صاح (الإصبع الذهبى) ، وهو يحاول التملص :

- إنك لن تستطيع أن .. لا يمكن .....

- قل لى سببًا واحدًا يمنعنى من ذلك !.

وألقى به فى البركة .. ففار الماء .. وارتفعت زعانف أسماك القرش .. ودوت صرخة مروعة .. ثم خرج رأس (الإصبع الذهبى) من الماء ليقول فى غلّ :

- سنلتقى ثانية يا (بوند) !.. لا تصدق الظواهر ..

أشعل (بوند) لفافة تبغ .. وانحنى ليضعها فى فم (الإصبع الذهبى) بمودة .. وأشعل لفافة أخرى لنفسه ، وقال :

- أعرف أنك ستعود .. يعلم الله كيف ستنجو من القروش ومن الحمم .. لكنك حتمًا عائد ..

ثم إنه ركل الرأس .. فصرخ هذا صرخة أخيرة ، وهوى إلى الأعماق ..

....

فى اللحظة ذاتها اقتحم (راجا) الحجرة ، وقد سمع صرخة سيده ..

فتوترت ملامحه .. ورفع السيف وراح يدور به حول

رأسه فى دورات سريعة .. وعلى وجهه أمارات الجنون .

- شتدفعان الثمن حالاً !.

قال (بوند) لـ (عبير) ، وهو يناولها سلاحه :

هذا هو البروتوكول .. الحارس الشخصى للزعيم يكون أكثر ضراوة من الزعيم نفسه .. والآن انتظرينى هنا حتى أفرغ منه .. لا داعى للسلاح فأنا بحاجة للتمرين !..

وهرع نحو العملاق الهندى ، فتحاشى بضع ضربات قاتلة بالسيف عن طريق الانحناء .. والتمرغ فى الأرض ..

ثم ركل العملاق فى قصبة ساقه ، فأنّ هذا ألمًا .

واصل (بوند) قتال الرجل .. لكن الرجل لم يكن خصمًا هينًا .. وطال الأمر أكثر من اللازم ..

- دقيقة على الكارثة !. سيبدأ العدّ من الآن بالثانية !

فى النهاية أمسك (راجا) عنق (بوند) بيد واحدة ورفعه إلى أعلى ، وقد ارتسمت الوحشية السعيدة على سحنته ..

ثم مد ذراعه للوراء كى يكسب السيف قوة اندفاع عظمى ..

صرخت (عبير) .. وتوتر (بوند) .. وضحك (راجا) ..

لكن (بوند) مدّ يده وانتزع الخنجر ـ خنجر (السيخ) إياه ـ من خذى (راجا) .. وقابضًا على الخنجر أولجه فى عنق الرجل ..

تراخت يد الرجل وترك (بوند) يسقط أرضًا .. ثم ترنح .. وهوى على الأرض فى بركة من دماء ..

لكنه كالعادة كان يملك ما يقوله قبل الوفاة :

ـ أشرعا .. غرفة التوليد .. الزر (شين ـ ١١) .. وداعًا !

نهض (بوند) وتأمل الجثة فى فخر باعتبار ما قام به كان عملا خلاقًا .. ثم نظر لـ (عبير) ، وصاح :

ـ هلمى إلى غرفة التوليد !

ـ ولكن أين هى ؟

ياله من سؤال !.. غرفة التوليد تقع دائمًا فى نهاية الممر الموجود بالطابق السفلى .. هكذا القصص دائمًا !

وانطلقا عبر الممرات باحثين عن سلالم يرقيانها ، أو ينزلان فيها إلى أسفل ..

بالطبع اعترض طريقهما مئات الحراس ذوى الزى الموحد ..

لكن هؤلاء كانوا بالفعل إلى البعوض أقرب .. بضع ركلات من (عبير) ، أو رصاصة واحدة من (بوند) كانت فى الغالب كافية لقتل خمسين حارسًا فى المرة ..

وعرفت (عبير) سرّ قوة (بوند) .. إنه الرجل الذى إذا أطلق طلقة واحدة صرع عشرين رجلاً .. أما إذا حاول عشرون رجلاً أن يفرغوا بنادقهم فيه ، فإنه لاتصيبه طلقة واحدة ..

وصوت القنبلة يتردد :

ـ خمسون ثانية على الكارثة .. أربعون ثانية على الكارثة !.

أخرج (بوند) شيئًا من جيبه .. كان هذا هو الكأس التى كان (الإصبع الذهبى) يشرب منها .. ومرّر قلمه على زجاج الكأس لحظة ، وفى الحال خرج قفاز مطاطى ملفوف على نفسه من مؤخرة القلم ..

ارتداه (بوند) على عجل :

ـ هذا هو (هـ ـ ١٢) .. اختراعنا لسرقة بصمات اليدّ .. إن هذا القفاز هو نسخة من كف (الإصبع الذهبى) ..

أخيرًا كان هناك باب موصد كتب عليه (غرفة التوليد) ..

وجوار الباب قفل إشعاعى يعمل ببصمات اليدّ ..

وضع (بوند) كفه على شاشة القفل ، فعبرها شعاع يمسح بالطول كف الرجل .. ثم دوّى صوت إلكترونى ..

- البصمات متطابقة .. الشفرة لو سمحت !

دون تردد قال (بوند) :

- نمر .. نمر !..

فى الحال انفتح الباب .. ودخلا ..

سألته (عبير) فى حيرة :

- البصمات فهمناها .. ولكن كيف عرفت الشفرة ؟

كل الشفرات تتشابه .. دائمًا تكون : نمر .. نمر .. ، أو : بكاء الكمان فى الخريف يثير الشجن فى قلبى ، أو : مارى عندها حمل صغير !.. لا يوجد تنوع كثير فى هذا النوع من القصص .. وعلى كل حال لا يحتمل الموقف أن أضيع الوقت فى استنتاج الشفرة !..

كانت هناك مئات الأزرار .. وعلى الشاشات رأت (عبير) مدفعًا مرعب الشكل موجهًا للسماء .. واضح أن هذا هو (س - ١٤) الرهيب ..

- ثلاثون ثانية على الكارثة .. عشرون ثانية على الكارثة !

جلس (بوند) مسترخيًا .. وأشعل لفافة تبغ وراح يتأمل المفاتيح فى هدوء ..

صرخت (عبير) بجنون :

- لا وقت لهذا !.. افعل شيئًا !..

- مازالت أمامنا فسحة من الوقت .. يجب أن أنقذ الموقف فى الثانية الأخيرة حتى أشوق القراء ..، يسمون هذا بـ (أسلوب جريفث فى الإنقاذ على آخر لحظة !)(*)

ودوى الصوت من جديد :

- عشر ثوان على الكارثة !

وضع (بوند) لفافة التبغ فى فمه .. وغمغم فى ملل :

- حان الوقت إذن ....

ومد أصابعه يعابث أزرار الأجهزة بسرعة لامعقولة.

- خمس ثوان على الكارثة !

- هكذا .. نغلق هذا الصمام .. ونقطع هذه الدائرة .. ونفتح هذه المضخة .. وهوذا الزرّ (س - ١١) ليس (ش) بل (س) !

- ثانيتان على الكارثة !

- والآن .. نضغط هذا الزرّ !

(*) (جريفث) المخرج السينمائى الأمريكى مؤسس (هوليوود) ، أول من ابتكر أسلوب (الإنقاذ فى آخر لحظة) الشهير .. البطلة مقيدة على قضيب القطار .. القطار قادم .. ثم يظهر البطل ليفك وثاقها قبل أن يمزقها القطار بثانية ..

ودوى الصوت من جديد :

تمَ إجهاض الكارثة !..

نظر (بوند) إلى (عبير) وابتسم .. وهى أيضًا للمرة الأولى شعرت بأنها لا تستطيع أن تكرهه إلى هذا الحدّ .

وفجأة دوى صوت صراخ وانفجارات فى الخارج .. وارتجت القاعة ..

ـ ما هذا ؟

قال (بوند) ، وهو يلثم أناملها :

ـ الانفجار النهائى .. هذا حتمى فى نهاية قصصى.. ينفجر كل شىء وتزول القاعدةُ من على وجه الأرض ..

ـ إذن .. نفرّ الآن !

نظر وراء كتفها .. وهزّ رأسه فى إحباط :

ـ سأفعل ذلك وحدى .. لأن هناك من جاء يصطحبك .. لقد انتهت مغامرتك ..

نظرت إلى الوراء فوجدت (المرشد) واقفًا يداعب قلمه الجاف .. ويبتسم .. وفى كياسة قال لها :

ـ ودّعى المستر (بوند) ولنرحل قبل أن تنفجر القاعدةُ كلها !

نظرت إلى (بوند) .. وابتسمت ابتسامة ذات معنى ..

قال لها ، وهو ينهض ليقف أمامها :

ـ فى العادة تنتهى قصصى بقبلة للبطلة .. لكنى أعرف تحفظك وتربيتك الشرقية .. لهذا أكتفى بالمصافحة ، وأقول لك إننى استمتعت بكل لحظة من هذه المغامرة .. وأرجو أن تعودى لى من جديد فى مغامرة غير مسبوقة ..

ـ وداعًا مستر (بوند) ..

ـ وداعًا ...

* * *

وإذ خرجت مع (المرشد) إلى الهواء الطلق متجهين إلى قطار (فانتازيا) ؛ أدركت أنها عادت إلى ثيابها القديمة وقبحها المعهود .. فتنهدت .. هذا هو الواقع وعليها أن تقبله ..

وغمغمت بشىء .. فسألها (المرشد) :

ـ هل تحدثين نفسك ؟

ـ لا .. كنت أود لوسألته عن الطريقة التى حرّر بها نفسه من شرك (الإصبع الذهبى) .. لكن لا يهم .. بالتأكيد سيقول لى إنه استعمل (ر ـ ٨) أو (ع ـ ٣) أو أى شىء من هذا القبيل !...

....

* * *

خاتمة

حين عادت (عبير) إلى عالم الواقع ، أدركت أن الحلم قد استغرق ساعتين ..

وكالعادة شاهدت مع (شريف) عرضًا بالفيديو لمغامرتها هذه ، وقالت له ، وهى تتأمل (بوند) على الشاشة :

ـ الحق أنه ظريف .. وليس من السهل مقاومة سحره .

ـ لا تدعينى أغار من بطل قصصى ..

ثم أردف ، وهو يغلق (الفيديو) :

ـ كل مغامرات (بوند) فائقة التسلية .. إلا أنها خبيثة وبها نزعة عنصرية لا تخفى على أحد .. وفيها تمجيد أسطورى للمخابرات البريطانية ، ولعب على عواطف الرجل العادى الذى لا تعجب به النساء .. ولا مغامرات فى حياته سوى ركوب الحافلة ذاهبًا إلى عمله ..

قالت باسمة :

ـ إن ركوب الحافلة لمغامرة مريعة حقًا !

أضاف (شريف) :

ـ كذلك تفتقر قصص (بوند) إلى (الدافع السردى) .. لا توجد سوى قصة واهية تحاول ربط عدد من المشاهد المثيرة لمطاردات وصراعات ومآزق .. لا تشعرين أن كل هذا ضرورى يمليه الحدث ، لكنها مشاهد شائقة تم اختراع قصة لها ..

قالت له وهى ترتدى حذاءها الذى خلعته قبل الجلوس إلى (دى ـ جى ـ ٢) :

ـ لاحظت كذلك لمسة من التهكم والسخرية فى كل شىء ..

قال لها ، وهو يغلق الأجهزة :

ـ هذه هى سمة هذا النوع من القصص .. المبالغة التى تصل إلى حد القول إن كل هذا غير حقيقى تمامًا .. وهى سمة عامة كذلك فى كل القصص المصورة .. لهذا يسمونها (كوميكس) أى (هزليات) .. يجب أن يكون هناك جو عام من الاستخفاف فى القصة ..

ثم أضاف :

ـ تجدين هذه السمة ـ وإن كانت أقل جاذبية ـ فى قصص (القديس) لـ (لسلى تشارتريس) و (ديابوليك) .. وربما (روكامبول) ..

- لا أعرف كل هذه الأسماء .. كل ما يعنينى أن تكون ممتعة ..

نظر لساعته .. وغمغم :

- والآن حان ميعاد الرحيل ..

- والمرة القادمة ؟.

- لن تكون هناك مرة قادمة !

* * *

لكن (عبير) تعرف - كما نعرف نحن - أن هناك مرارًا قادمة ، و(جالا كيتكا) كانت تنتظر .. بمكوكاتها وسفن فضائها ، وكائناتها المروعة .. (جالا كيتكا) حيث (الليزر) هو القانون .. وحيث الموت هو اسم اللعبة ....

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٥٢٦٦

الترقيم الدولى : ٥ ــ ٢٦٥ ــ ٢٦٠ ــ ٩٧٧